جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي
كلية العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين

آيات العتاب في القرآن الكريم

– دراسة موضوعية –

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر
في العلوم الإسلامية – تخصص: علوم القرآن والتفسير.

إعداد الطالب:
عبد الرحيم الزاوي

إشراف الدكتور:
ميلود عمارة

السنة الجامعية: 1437– 1438هـ/ 2016– 2017م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

- ✓ إلى والدّي الكريمين ...
- ✓ إلى أساتذة التفسير وعلوم القرآن ...
- ✓ إلى أستاذي الفاضل الذي أشرف على رسالتي **ميلود عمارة** ...
- ✓ إلى كل من ساعدني ولو بكلمة تشجيع ...
- ✓ إلى كل زملائي الذين درسوا معي ...

أهدي لهم هذا العمل، وأرجوا أن يكون خالصا لوجهه الكريم.

عبد الحليم الزاوي

شكر وتقدير

أحمد الله عز وجل وأشكره على امتنانه علي بأن وفقني لإتمام هذه الرسالة ولولا توفيقه سبحانه لما أتممت.

وأتقدم بكل عبارات الشكر والتقدير والاحترام لأستاذي الفاضل **الدكتور: ميلود عمارة** على اقتراحه علي هذا الموضوع وإشرافه على هذه الرسالة رغم ارتباطاته الإدارية.

وأشكر أيضا أساتذتي الأفاضل الذين لم يبخلوا عليّ، فكلما قصدتهم وجهوني وأرشدوني.

والشكر موصول لكل من أعانني بتوجيه أو بتشجيع من قريب أو من بعيد.

وأسأل الله عز وجل أن يجازيهم خير الجزاء، وأن يجعل كل كلمة نصحوني بها في ميزان حسناتهم.

ملخص البحث

يتحدث هذه البحث عن آيات العتاب في القرآن الكريم –دراسة موضوعية– وتناولت فيه مفهوم العتاب من حيث اللغة والاصطلاح وأنواع العتاب وأغراضه، ثم تطرقت إلى الآيات التي عاتبت المصطفى –صلى الله عليه وسلم– وكانت في ثلاثة أنواع: عتاب توجيه وعتاب تنبيه وعتاب تحذير، ثم تناولت عتاب الأنبياء –عليهم السلام– وقسّمت عتاب الأنبياء إلى نوعين: أنبياء أولوا العزم من الرسل وغير أولو العزم وذكرت الآيات التي جاءت معاتبة لهم، فهذا العتاب لا يعتبر انقاصا من قيمتهم بل هو تشريف لهم ورفع لمقامهم، ثم تناولت الحديث عن المؤمنين والعتاب الموجه إليهم وكان ذلك في التثاقل عن الجهاد وفي قسوة القلوب، وعاتبهم في الحادثة العظيمة، حادثة الإفك، ثم ذكرت عتاب الكافرين في حسدهم وبغضهم للنبي –صلى الله عليه وسلم.

وفي الأخير وضعت خاتمة اشتملت على خلاصة الموضوع ونتائجه .

وأهم هذه النتائج التي خلص إليها هذا البحث:

1_ عوتب المصطفى – صلى الله عليه وسلم– بالأنواع الثلاثة للعتاب(عتاب التوجيه وعتاب التنبيه وعتاب التحذير) وكذلك الأنبياء قبله، وأن أكثر نوع عاتب به سبحانه أنبياءه هو عتاب التوجيه وعتاب التحذير.

2_ عاتب الله سبحانه عباده المؤمنين في الأمور العظيمة كقسوة القلوب، والمساس ببيت خير الخلق، وهو المعصوم –صلى الله عليه وسلم– فحذرهم من العودة إلى مثل هذا الفعل، وعاتب الكافرين كذلك لحسدهم المصطفى صلى الله عليه وسلم على ما آتاه الله من النبوة.

Search summary

This letter speaks about the verses of repentance in the Holy Quran - an objective study - and dealt with the concept of repentance in terms of language and terminology and types of obituaries and purposes, and then touched on the verses that the Prophet - peace be upon him - and was in three types: repentance of guidance and repentance of warning and repentance of cautioning.

Then she addressed the repentance of the prophets - peace be upon them - and divided the repentance of the prophets into two types: Prophets gave the determination of the Apostles and changed Oulu's determination and mentioned the verses that came to them, this repentance is not a detraction of their value, but is a tribute to them and raised their status, and then followed by talking about believers and repentance directed And it was in the weight of the jihad and the cruelty of hearts, and accused them in the great incident, the incident of the ejaculation, and then said the repentance of the unbelievers in their envy and hatred of the Prophet - peace be upon him.

Finally put the finale included the bottom line and results.

The most important findings of this research:

1_ Auteb Mustafa- peace be upon them -three species of admonition (itab routing and itab alert and itab warning) as well as the prophets before him, that the most Almighty's prophets reproached type is itab routing and itab Warning.

2- Cult believers in great things as cruel hearts, compromising the good house manners, is impeccable- peace be upon them - they warned them against returning to such an Act, and admonished the disbelievers. For ' hasad-Mustafa -peace be upon them- on revealing the Allah of prophecy.

مقدمة

مقدمة

الحمد لله الواحد الديان، الكريم المنان، والصلاة والسلام على نبيه العدنان، الذي بلغ عن ربه القرآن، ليكون دستورا صالحا لكل زمان ومكان، من قرأه فاز برضى الرحمان، ومن هجره فلن يذق طعم الراحة والاطمئنان، يغترف من بحره العلماء، ويطرق باب تفسيره من وهبه الله الحكمة والعطاء، كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه رغم تكالب الأعداء.

وبعد:

فقد بلغت عناية العلماء بالقرآن الكريم عناية فائقة فمنهم من اعتنى بشرحه وتفسيره ومنهم من اعتنى برسمه وضبطه ومنهم من اعتنى بقراءاته ومنهم من اعتنى بناسخه ومنسوخه ... إلى غير ذلك من العلوم الكثيرة، ولم يتركوا جانبا من علومه إلا وتناولوه بالدراسة ففتح الله لهم من أسرار هذا الكتاب العظيم علوما جمة، ومن هذه العلوم اللون الجديد وهو التفسير الموضوعي الذي يدرس موضوعات السور القرآنية وآياته ومن الآيات التي اخترتها والتي ستكون موضوع مذكرتي في الماستر وهي " **آيات العتاب في القرآن الكريم –دراسة موضوعية–** ".

أهمية الموضوع:

هذه الآيات قد أصلحت الكثير من الهفوات والأخطاء، وترك ما هو أولى، والتي وقع فيها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والأنبياء قبلهم، فأرشدتهم وصححت ما وقعوا فيه من زلات وأرشدت إلى ما هو أولى، وبما أن هذه الآيات قد علمت وأرشدت وأصلحت فإنها جديرة بالدراسة.

أسباب اختيار الموضوع:

لاختيار هذا الموضوع هناك عدة أسباب أهمها:

1_ خدمة كتاب الله عز وجل ولو بالقليل.

2_ أن هذا الموضوع في تخصص التفسير وعلوم القرآن.

3_ قلة البحث في هذا النوع من التفسير خاصة الدراسة الموضوعية للآيات.

4- معرفة الموضوعات التي تناولها العتاب للعبرة والاجتناب.

5_ محاولة جمع آيات هذا الموضوع والبحث فيها.

أهداف الموضوع:

تهدف الدراسة في هذا الموضوع إلى جملة من المقاصد والغايات نذكر منها:

1_ معرفة معنى عتاب الله تعالى الموجه إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وإلى أنبيائه وإلى الناس كافة، ومعرفة الآيات التي عاتبتهم وشرحها.

2_ الاطلاع على أنواع العتاب واختلاف الصيغ التي جاء بها.

3_ الإلمام بآيات العتاب وتوضيح معناها في القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

حاول الباحث وفي حدود علمه البحث على دراسات سابقة لهذا الموضوع، ومن خلال البحث وجد الباحث بعض الدراسات التي تطرقت إلى هذا الموضوع؛ إلا أنها درست جانبا من جوانبه منها:

1_ آيات عتاب المصطفى صلى الله عليه وسلم في ضوء العصمة والاجتهاد، لعويد المطرفي. قدمها لنيل شهادة الماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1426هـ- 2005م، درست عتاب النبي صلى الله عليه وسلم وهي جزء من الذي تناولته في دراستي.

2_ عتاب الله عز وجل للأنبياء عليهم الصلاة والسلام في القرآن الكريم –دراسة موضوعية- لـ بيئوغين أكبر الأندونيسي. قُدّمت لنيل شهادة الماجستير، جامعة المدينة العالمية، دولة ماليزيا 1436هـ- 2015م وقد تناولت أيضا جزءا من دراستي.

وهناك بعض الرسائل وقفت على عنوانها دون أن أتصفح محتواها، لعدم الظفر بها، منها:

1_ آيات العتاب في القرآن الكريم –دراسة تحليلية موضوعية- لنورة بن فهد الجليل.

2_ آيات العتاب في القرآن الكريم -دراسة بلاغية- لإبراهيم حسين علي.

فدراستي هذه تختلف عن الدراسات السابقة لكونها دراسة عامة حيث تشمل آيات العتاب المختلفة، أما تلك الدراسات فهي خاصة.

إشكالية البحث:

في هذا البحث إن شاء الله سأحاول دراسة موضوع العتاب في القرآن الكريم للوصول إلى حقيقته واستخراج أغراضه، إذن ما هي الجوانب التي سيتطرق إليها هذا البحث؟ وتكمن هذه الإشكالية في التساؤلات الآتية:

_ ما مفهوم العتاب؟ وما هي أنواعه؟

_ ما هو نوع العتاب الموجه إلى نبيه صلى الله عليه وسلم وإلى أنبيائه؟

_ كيف وجّه الله سبحانه عتابه إلى عباده ؟ وما الفرق بينه وبين عتاب الأنبياء؟

منهج البحث:

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج الوصفي وذلك عند عرض الآيات الواردة في العتاب، والتحليلي عند دراسة هذه الآيات واستنباط الاحكام والفوائد منها وقد انتهجت في دراستي لموضوع العتاب الخطوات الآتية:

_ قمت بدراسة تفسير هذه الآيات دراسة وافية من خلال أمهات كتب التفسير.

_ قسّمت آيات العتاب إلى مجموعات ووضعت كل مجموعة منها تحت عنوان مناسب.

_ عزوت الآيات المستشهد بها إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية.

_ كتبت الآيات بمصحف المدينة الالكتروني برواية حفص عن عاصم.

اعتمدت في الدراسة على خطة تتكون من مقدمة ومبحث تمهيدي وأربعة مباحث، وخاتمة، في المبحث التمهيدي قمت فيه بتعريف العتاب وذكر أنواعه وأغراضه، والمبحث الأول خصصته إلى الآيات الواردة في عتاب النبي صلى الله عليه وسلم، أما المبحث الثاني فذكرت فيه آيات عتاب

الأنبياء من أولي العزم من الرسل ، والمبحث الثالث تناولت فيه الآيات التي عاتبت الأنبياء من غير أولي العزم من الرسل، أما المبحث الرابع فتطرقت فيه الآيات الواردة في عتاب المؤمنين والكافرين وفي الأخير ختمت بخاتمة ذكرت فيها بعض النتائج التي استخلصتها من هذه الدراسة، وكانت الخطة كالآتي:

مقدمة

مبحث تمهيدي: تعريف العتاب وأنواعه وأغراضه

المطلب الأول: تعريف العتاب لغة واصطلاحا

المطلب الثاني: أنواع العتاب

المطلب الثالث: أغراض العتاب

المبحث الأول: عتاب الله للمصطفى صلى الله عليه وسلم

المطلب الأول: عتاب التوجيه

المطلب الثاني: عتاب التنبيه

المطلب الثالث: عتاب التحذير

المبحث الثاني: الآيات الواردة في عتاب أولي العزم من الرسل عليهم السلام

المطلب الأول: الآيات الواردة في عتاب نوح عليه السلام

المطلب الثاني: الآيات الواردة في عتاب إبراهيم عليه السلام

المطلب الثالث: الآيات الواردة في عتاب موسى عليه السلام

المطلب الرابع: الآيات الواردة في عتاب عيسى عليه السلام

المبحث الثالث: الآيات الواردة في عتاب الأنبياء من غير أولي العزم من الرسل

المطلب الأول: الآيات الواردة في عتاب آدم عليه السلام

المطلب الثاني: الآيات الواردة في عتاب يوسف عليه السلام

المطلب الثالث: الآيات الواردة في عتاب داود عليه السلام

المطلب الرابع: الآيات الواردة في عتاب سليمان عليه السلام

المطلب الخامس: الآيات الواردة في عتاب يونس عليه السلام

المبحث الخامس: عتاب المؤمنين والكافرين

المطلب الأول: العتاب في شأن الجهاد وقسوة القلوب

المطلب الثاني: العتاب في حادثة الإفك

المطلب الثالث: عتاب الكافرين

خاتمة

هذا فإن أصبت فمن الله وحده وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، وفي الختام أصلي وأسلم على سيد الأنام.

المبحث التمهيدي: تعريف العتاب، أنواعه، أغراضه

المطلب الأول: تعريف العتاب لغة واصطلاحا

المطلب الثاني: أنواع العتاب

المطلب الثالث: أغراض العتاب

المبحث التمهيدي: تعريف العتاب أنواعه وأغراضه

قبل الحديث عن العتاب في القرآن الكريم ينبغي أن نوضح تعريفه من حيث اللغة، بالوقوف على المعاني اللغوية له، ونبين مفهومه من حيث الاصطلاح، ونذكر أنواعه التي يأتي من طريقها ونبين كذلك الأغراض التي يأتي من أجلها العتاب.

المطلب الأول: تعريف العتاب لغة واصطلاحا

لغة:

تعود أصل مادة (عتب) إلى ثلاثة حروف، وهي: ع-ت-ب وسنذكر معانيها من خلال كتب اللغة.

يرى ابن فارس أن مادة (عتب) أصل صحيح، ترجع كلها إلى الأمر الذي فيه بعض الصعوبة من كلام أو غيره. وكذلك المعاتبة، إذا لامك. [1]

ويرى صاحب المصباح المنير أنها من بابي ضَرَبَ وقَتَلَ و (مَعْتَبًا) أيضا لامه في تسخط فهو (عَاتِبٌ) و(أعتبني) أي أزال الشكوى والعتاب. [2]

وقال ابن منظور ((العَتَبَةُ أُسْكُفَّةُ البابِ التي تُوطأُ والعَتْبُ المَوْجِدَةُ عَتَبَ عليه يَعْتِبُ ويَعْتُبُ عَتْباً وعِتاباً ومَعْتِبَة ومَعْتَبَةً ومَعْتَباً أَي وجد عليه ، قال الشاعر:

أعاتِبُ ذا المَوَدَّةِ من صَديقٍ ... إِذا ما رَابَني منه اجْتِنابُ

إِذا ذَهَبَ العِتابُ فليس وُدٌّ ... ويَبْقَى الوُدُّ ما بَقِيَ العِتابُ))[3]

وعاتَبَهُ مُعاتَبَةً وعِتاباً كلُّ ذلك لامه،[4] قال الغَطَمَّشُ الضَّبِّيُّ[5]:

أَقُولُ وقد فَاضَتْ بعَيْنِيَ عَبْرَةٌ ... أَرَى الدَّهْرَ يَبْقَى والأَخِلاَّءُ تَذْهَبُ

---

[1] ينظر: معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر، 1399هـ - 1979م، ج4، ص225.

[2] ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، بيروت، المكتبة العلمية، ج2 ص391.

[3] لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط1، ج1، ص 576.

[4] ينظر: لسان العرب، ج1، ص 577.

[5] الغَطَمَّش بن عمرو بن عطية، من بني شقرة بن كعب، من ضبة، شاعر، كان مقيما في الري. ينظر: الأعلام للزركلي، ج5 ص120.

أَخِلاَّيَ لو غَيْرُ الحِمام أَصابَكُمْ ... عَتَبْتُ ولكنْ ليسَ للدَّهْرِ مَعْتَبُ[1]

وقال صاحب التاج ((المعاتبة: التأديب والترويض.)) [2]

إذن من خلال التعريفات يتبين معنى العتاب من حيث مدلولها اللغوي والذي يدور حول اللوم والتسخّط من فعل الشيء .

وأما في الاصطلاح:

فقد عرّف العتاب بتعريفات متقاربة، فعُرّف بأنه : ((اللوم وما يكون على صدور المكروه من التأديب.))[3]

وقال أبو هلال العسكري : ((هو الخطاب على تضييع حقوق المودة والصداقة في الإخلال بالزيارة وتركت المعونة وما يشاكل ذلك ولا يكون العتاب إلا ممن له موات يمت بها.))[4]

وبيّنه صاحب كتاب جامع العلوم بأنه: ((ما يكون على صدور المكروه من الحبيب تأديبا ليستغفر عنه ويصير مورد المراحم.))[5]

ونعته بعضهم بأنه ((تأديب الشفقة.)) [6]

وجمعا بين التعاريف السابقة فإن العتاب هو: ما يكون على صدور المكروه من الحبيب تأديبا له واشفاقا عليه وتحذيرا له من إعادة ذلك المكروه.

المطلب الثاني: أنواع العتاب

بعد أن عرفنا العتاب في اللغة وفي الاصطلاح، حيث نجد أنه أكثره يكون تأديبا وتصحيحا لأشياء خاطئة، أو توجيها لما هو أولى، ومن هذا فإن أنواع العتاب في القرآن الكريم لا تخرج عن ثلاثة أنواع وهي:

أولا: عتاب التوجيه:

---

(1) ديوان الحماسة لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ-1998م، ص185.

(2) الزبيدي، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج3، ص310.

(3) قواعد الفقه، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، كراتشي، الصدف ببشلرز، 1407هـ، 1986م، ص372.

(4) الفروق اللغوية، ت: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع القاهرة مصر، ص53.

(5) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، للقاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري، ت: حسن هاني فحص بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ، 2000م، ج2، ص217.

(6) المرجع نفسه، ج2، ص217.

والمقصود من عتاب التوجيه هو أن يوجه الله تعالى عباده رسلا كانوا أو أنبياء أو غيرهم إلى ما يراد منهم في تبليغ ما أنزل الله إليهم من الآيات إلى أممهم حتى يتحلوا بالصبر فيما يلاقونه في سبيل ذلك من الأذى.[1]

ثانيا: عتاب التنبيه:

المقصود منه تنبيه عباده إلى ما يحتمل وقوعه منهم لو لم ينبهوا إلى ذلك لوقع ذلك الفعل منهم مرة أخرى.

ثالثا: عتاب التحذير:

المقصود منه تحذير عباده من عاقبة أمر وقع فيه خطأ في اجتهاد يترتب عليه – لو لم يحذروا منه – ضرر في التشريع والأحكام..[2]

المطلب الثالث: أغراض العتاب

جعلت الأغراض حسب الأنواع الثلاثة السابقة فجعلت لكل نوع غرضا خاصا به.

فغرض النوع الأول (عتاب التوجيه) هو نقل المعاتب من حالة كان عليها إلى حالة أخرى، يراد له المصير إليها.

وغرض النوع الثاني (عتاب التنبيه) هو تنبيه المعاتب إلى عدم الرجوع إلى الذي عوتب عليه حتى لا يتكرر منه ذلك أو يقع فيما هو أكبر منه.[3]

أما غرض النوع الثالث وهو عتاب التحذير؛ التخويف من عاقبة فعل يتوقع ضرره، وفي أسلوب يحمل شيئا من الشدة يختلف باختلاف مواقف العتاب دون أن يذكر في النص شيء من عقوبة أو وعيد، ويشترك عتاب التحذير مع عتاب التنبيه في أن كلا منهما فيه تخويف من عاقبة مثل هذا الفعل لو تكرر، وينفرد عتاب التحذير عن عتاب التنبيه في أن أسلوب عتاب التحذير لا يخلو من شدة تقربه من الإنذار.[4]

---

[1] ينظر: آيات عتاب المصطفى صلى الله عليه وسلم في ضوء العصمة والاجتهاد لعويد بن عيّاد بن عايد المطرفي، مكة المكرمة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز، ط3، 1426هـ، ص114.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص115.

[3] ينظر: عتاب الله عز وجل للأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم لـ بيئوغين أكبر الأندونيسي، 1436هـ-2015م، ص21.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص21.

المبحث الأول: عتاب الله للمصطفى صلى الله عليه وسلم

المطلب الأول: عتاب التوجيه

المطلب الثاني: عتاب التنبيه

المطلب الثالث: عتاب التحذير

المبحث الأول: عتاب الله للمصطفى صلى الله عليه وسلم

لم يكن لي أن أطرق هذا الموضوع ولا أن أتكلم فيه لمقام حبيبنا _صلى الله عليه وسلم_ عندنا إلا أن موضوع البحث يحتم عليّ دراسة ذلك.

سيتناول الباحث في هذا المبحث إن شاء الله الآيات التي عاتب الله فيها المصطفى – صلى الله عليه وسلم– ولن يأتي عليها كلها بالشرح لأنه لو فعلت ذلك لكانت لوحدها بحثا بما أن شرح بعض هذه الآيات تبين عتاب المصطفى – صلى الله عليه وسلم– وتوضح مراده.

إن العتاب الوارد في القرآن الذي وجهه الله سبحانه وتعالى إلى نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم– ليس نوعا واحدا بل هو أنواع–كما بيناها سابقا– حيث حصرت في أنواع العتاب السابقة وهي:

النوع الأول: إما أن يكون عتاب توجيه، وقد تبين عدد هذه الآيات بعد البحث أنها سبع آيات[1]، منها قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [هود: 12].

وينقسم هذا النوع من العتاب إلى قسمين وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله.

النوع الثاني: وإما أن يكون عتاب تنبيه، وعدد آيات هذا النوع هي خمس آيات حسب البحث الذي توصلت إليه، وسيأتي ذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى، منها قوله تعالى: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [التوبة: 43].

النوع الثالث: وإما أن يكون عتاب تحذير، وعدد آيات هذا النوع هو ثماني آيات، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [النساء: 105].

---

[1] هذه الآيات هي: الآية 1–2من سورة الأعراف، الآية 12 من سورة هود، الآية 97 من سورة الحجر، الآية 6 من سورة الكهف، الآية 3 من سورة الشعراء، الآية 70 من سورة النمل، الآية 7 من سورة الكهف.

المطلب الأول: عتاب التوجيه

من أنواع عتاب الرسول صلى الله عليه هو ما سميناه (عتاب التوجيه) –كما سبق أن وضحنا ذلك في أنواع العتاب – والمقصود به: هو إشعاره – صلى الله عليه وسلم –بتحميله أمانة القيام بتبليغ رسالته، وتقوية عزيمته في تبليغ ما ينزل عليه من آيات القرآن الكريم مهما بلغ ما فيها من شدة الإنذار والزجر والتهديد وعيب الشرك ومعتنقيه، ومن مات عليه، [1] وهو على قسمين:

وهُما:

((القسم الأول: التوجيه للتثبت والدفع وتقوية العزيمة

وهذا العتاب هو الذي يراد منه توجيه المعاتب ليصبر فيما يراد له فلا يضيق ذرعه،))[2] ومثال ذلك:

1. قال تعالى:﴿ الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ﴾ [الأعراف: 1-2].

لفظ الكتاب الوارد في أسلوب الآية الكريمة هو القرآن الكريم، لأن المخاطب هو المنزل إليه الكتاب وهو سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خاتم النبيين والمرسلين، وعلى ذلك أجمع المفسرون وتفريع النهي في قوله تعالى: ﴿ فَلَايَكُنۡ﴾ عن أن يحرج صدر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بهذا المنزل إليه هو موضع إفادة عتاب التوجيه للرسول – صلى الله عليه وسلم – في الآية الكريمة.[3]

والحرج في اللغة هو الضيق الشديد الذي لا يوجد معه في الصدر منفسح، مأخوذ من قولهم: حرجة للشجرة تكون بين الأشجار لا تصل إليها الآكلة.[4]

قال الزجاج في معاني القرآن: ((الحرج في اللغة الضيق.))[5]

وقد اختلف المفسرون في المراد بالحرج في الآية الكريمة، فذهب كثير منهم إلى أن المراد بالحرج في الآية الكريمة هو: الضيق الشديد.

---

[1] ينظر: آيات عتاب المصطفى – صلى الله عليه وسلم – في ضوء العصمة والاجتهاد، ص142.

[2] عتاب الله عز وجل للأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم لـ بيئوغين أكبر الأندنونيسي، ص 57.

[3] ينظر: آيات عتاب المصطفى صلى الله عليه وسلم في ضوء العصمة والاجتهاد، ص 143.

[4] ينظر: لسان العرب لابن منظور، ج2، ص233.

[5] معاني القرآن وإعرابه لأبي اسحاق الزجاج، ت: عبد الجليل شلبي، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1408هـ - 1988م، ج4 ص53.

وهو الذي اختاره الطبري في تفسيره، وهو الذي يراه الباحث أيضا.

وذهب غيرهم إلى أن الحرج في الآية معناه الشك. وهذا معنى مجازي للحرج.

2 . قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الحجر: 87 -88]

يفهم من هذه الآية أن الله تعالى بين لنبيه – صلى الله عليه وسلم – النعمة التي أنعم عليه وهي نعمة الوحي حيث أعطاه سبعا من المثاني والقرآن العظيم لذلك جاء النهي على سبيل التوجيه منه سبحانه ، بأن لا تطمع بنظرك طموح راغب ولا تدم نظرك إلى ما متعنا به من زخارف الدنيا وزينتها أزواجا منهم أصنافا من الكفرة اليهود والنصارى والمشركين. [1]

القسم الثاني: عتاب الإقصار والكف

بينما كان –صلى الله عليه وسلم– يبذل في جهد كبير، تلطف به سبحانه وتعالى وأنزل عليه آيات الإقصار والكف عن المبالغة في الجهد حتى لا يصيبه – صلى الله عليه وسلم– من المشاق والمتاعب والنصب ما يعوق الرسالة عن سيرها، وأنه ليس مكلف بما هو فوق طاقته، فكان ذلك ما قصدت من عتاب الإقصار والكف.[2]

وقد تمثل هذا القسم في ثلاث آيات حسب ما وصلت إليه في البحث.

الآية الاولى: قال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾ [الكهف: 6].

فلعلك يا محمد قاتل نفسك ومهلكها بعد توليهم عن الايمان وإعراضهم عنه، فقد اشتد وجدك عليهم، وبلغت حالا من الأسى والحسرة فصرت فيها أشبه بحال من يحدّث نفسه أن يبخعها أسى

---

[1] ينظر: عتاب الله عز وجل للأنبياء عليهم السلام، ص 62. وينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي ت: علي عبد الباري عطية، ، بيروت دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ، ج7، ص322.

[2] ينظر: آيات عتاب المصطفى صلى الله عليه وسلم في ضوع العصمة والاجتهاد ، ص157.

وحسرة عليهم، وما كان من حقك أن تفعل ذلك، وهم الذين قالوا لك ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ ﴾ [الإسراء: 90] تمردا منهم على ربهم.[1]

ومن فرط شفقته- صلى الله عليه وسلم- عليهم داخله الحزن، فهوّن الله- سبحانه- عليه الحال، فكأنه قال له: لم كل هذا؟.[2]

أما موطن العتاب في هذه الآية الكريمة فهو في استعمال أداة الإشفاق وهي " لعلّ " فيما وصل إليه حال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من شدة حرصه ومبالغته في دعوتهم تطلبا لإيمانهم حتى كاد يهلك نفسه أسفا على عدم إيمانهم بالله واتباع رسوله.

وهذا الإشفاق نظير قوله –في سورة هود- ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾.[3]

ولأن هذا العتاب يعتبر من عتاب التوجيه –في قسمه الثاني- ((فأريد به إقصاره وكفه – صلى الله عليه وسلم – عن بعض ما يبذله مما هو فوق طاقته من الجهد في قوم لا يلوح فيهم رجاء.))[4]

أما الآية الثانية فهي قوله تعالى:﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [الشعراء - 3].

وهذه الآية تشبه الآية السالفة الذكر من سورة الكهف، فهي مماثلة لها من حيث اللفظ ومن حيث الأسلوب أيضا.

وفي هذه الآية أيضا نجد أن ((موطن العتاب فيها هو موطنه في نظيرتها آية سورة الكهف باستعمال أداة الإشفاق " لعل " وصيغة باخع نفسك والتعليل بعدم إيمانهم رغم ما يبذل من حرص على إيمانهم.

أما كونه عتاب توجيه فلأنه لم يعقب بتنبيه على شيء يجب تركه وإن لم يترك وقع ما يخاف منه، كما لم يعقب بتحذير وإنما أريد به نقله من حالة بذله غاية الجهد إلى التوسط فيما يبذله من

---

(1) ينظر: تفسير المراغي لأحمد المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365هـ -1946م ج15، ص116، وتفسير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م، ج17، ص597.

(2) ينظر: لطائف الاشارات – تفسير القشيري – لعبد الكريم القشيري، ت: ابراهيم البسيوني، ط3، مصر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج2، ص377.

(3) ينظر: آيات عتاب المصطفى صلى الله عليه وسلم في ضوء العصمة والاجتهاد، ص161.

(4) المرجع نفسه، ص161.

ذلك وقوفا مع ما أمر به »[1].

«ويزيد هذا القسم من العتاب أنه عتاب إقصار وكف عن بعض ما يبذل من جهد في التبليغ على خلاف سابقه – عتاب الدفع– في أن المطلوب فيه كان قوة العزيمة، وبذل كل الجهد في تبليغ الرسالة مع عدم المبالاة بما يلقى من الأذى والبلاء في سبيل تبليغ رسالته. »[2]

وأما الآية الثالثة من عتاب الإقصار فهي قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٨ ﴾ [فاطر: 8].

ومما يدل على هذا النوع من العتاب قول ابن جرير الطبري: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٨ ﴾ [فاطر:8]

يقول تعالى ذكره: أفمن حسّن له الشيطان أعماله السيئة من معاصي الله والكفر به، وعبادة ما دونه من الآلهة والأوثان، فرآه حسنًا فحسب سيء ذلك حسنًا، وظن أن قبحه جميل، لتزيين الشيطان ذلك له. ذهبت نفسك عليهم حسرات، وحذف من الكلام: ذهبت نفسك عليهم حسرات اكتفاء بدلالة قوله (فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ) منه، وقوله (فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) يقول: فإن الله يخذل من يشاء عن الإيمان به واتباعك وتصديقك، فيضله عن الرشاد إلى الحق في ذلك، ويهدي من يشاء، يقول: ويوفق من يشاء للإيمان به واتباعك والقبول منك، فتهديه إلى سبيل الرشاد، ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ﴾ يقول: فلا تهلك نفسك حزنًا على ضلالتهم وكفرهم بالله وتكذيبهم لك[3].

وجاء تفسير هذه الآية عند البغوي في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾

---

[1] المرجع السابق، ص162.

[2] المرجع نفسه، ص162.

[3] ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ج20، ص441.

أن معناها: من زين له سوء عمله فأضله الله، ذهبت نفسك عليه، أي تتحسر عليه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات. وبمعنى آخر: لا تهتم بكفرهم وهلاكهم إن لم يؤمنوا إن الله عليم بما يصنعون.[1]

أما موضع العتاب في هذه الآية الكريمة ففي توجيه النهي إلى نفس النبي – صلى الله عليه وسلم – بأن هذا الحزن قد يتعب به نفسه، وأنه عليه عدم الحزن على عدم إيمانهم، وأنه بهذا التحسر والحزن كاد يبخع نفسه، وقد جاء هذا كما في آية سورة الكهف، وآية سورة الشعراء المتقدمتين.[2]

وأما أنه عتاب من نوع الإقصار والكف فلأنه يراد بهما التوجيه وأنه لم يعقب بشيء ويطلب من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تحصيله ولا بشيء من التحذير وإنما يراد له عليه الصلاة والسلام الانكفاف عن بعض ما يبذله من جهد في دعوته لقوم لا يلوح فيهم رجاء.[3]

المطلب الثاني: عتاب التنبيه

هو العتاب الذي يراد من المعاتب أن لا يكرر ذلك الحال، ولو لم ينبه لتكرر منه ذلك الأمر وقد يؤدي به حال التكرار وعدم التنبيه عليه إلى ما هو فوقه.[4]

وحسب ما توصلت إليه أن آيات هذا النوع هي خمس آيات كما ذكرت سالفا، وهي:

1. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [التوبة:43].

2 - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [التوبة:80].

---

[1] ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي، ت: عبد الرزاق المهدي، بيروت دار احياء التراث العربي، ط1، 1420هـ، ج3 ص689.

[2] ينظر: آيات عتاب المصطفى صلى الله عليه وسلم في ضوء العصمة والاجتهاد، ص165.

[3] ينظر: آيات عتاب المصطفى صلى الله عليه وسلم في ضوء العصمة والاجتهاد للمطرفي، ص165.

[4] ينظر: نظرة في آيات العتاب ل د: أمين محمد سلام المناسية، مجلة جامعة دمشق للعلوم الإقتصادية والقانونية، المجلد23، العدد الأول، 2007، ص12، وعتاب الله عز وجل للأنبياء عليهم السلام، ص20.

3 - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [التوبة:84].

4 - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ [التوبة:113].

5 - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الكهف:23-24].

وسأقوم بشرح ثلاث آيات فقط قصد الاختصار.

الآية الأولى: قال الطبري رحمه الله: القول في تأويل قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾

وهذا عتاب من الله تعالى ذكره، عاتب به نبيَّه – صلى الله عليه وسلم– في إذنه لمن أذن له في التخلف عنه، حين شخص إلى تبوك لغزو الروم، من المنافقين.[1]

وقوله سبحانه ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ صريح في أنه سبحانه وتعالى قد عفا عنه –صلى الله عليه وسلم– ما وقع منه عند استئذان المتخلفين في التخلف معتذرين بعدم الاستطاعة وفي ذكر العفو عنه –صلى الله عليه و سلم– ما يدل على أن هذا الإذن الصادر منه كان خلاف الأولى، وفي هذا عتاب لطيف من الله سبحانه، وقيل: إن هذا عتاب له –صلى الله عليه وسلم– في إذنه للمنافقين بالخروج معه لا في إذنه لهم بالقعود عن الخروج والأول أولى، وقد رخص له سبحانه في سورة النور بقوله : ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ [النور:62][2]

---

[1] ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن، ج14، ص272.

[2] ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود، بيروت دار إحياء التراث العربي، ج4، ص68، و فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط1 1414هـ، ج2، ص417.

((ويمكن أن يجمع بين الآيتين بأن العتاب هنا موجه إلى الإذن قبل الاستثبات حتى يتبين الصادق من الكاذب والإذن هنالك متوجه إلى الإذن بعد الاستثبات.))[1]

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٨٠ ﴾ [التوبة:80].

ومعناه: إن استغفرت لهم، يا محمد، أو لم تستغفر لهم، فلن يغفر الله لهم، فالأمران متساويان في عدم النفع الذي هو المغفرة والرحمة،[2] وذلك لأنهم ليسوا بأهل لاستغفاره –صلى الله عليه وسلم– ولا للمغفرة من الله سبحانه لهم، فهو كقوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡۖ ﴾ [التوبة:53]، ثم قال: إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وفيه بيان لعدم المغفرة من الله سبحانه للمنافقين وإن أكثر النبي صلى الله عليه وسلم من الاستغفار لهم، وليس المراد من هذا أنه لو زاد على السبعين لكان ذلك مقبولا كما في سائر مفاهيم الأعداد، بل المراد بهذا: المبالغة في عدم القبول.[3]

أما الآية الثالثة قوله تعالى:﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ٢٤ ﴾ [الكهف:23-24]،

يقول الطبري معلقا على هذه الآية: ((هذا تأديب من الله عز ذكره لنبيه –صلى الله عليه وسلم– عهْدٌ إليه أن لا يجزم على ما يحدث من الأمور أنه كائن لا محالة، إلا أن يصله بمشيئة الله، لأنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله.)) [4]

هذا عتاب صريح منه سبحانه لرسوله _صلى الله عليه وسلم_ وجاء ذلك لما سألوه قريش عن أهل الكهف وعد بالإجابة ونسي أن يقول: (إن شاء الله)، فأعلم الله رسوله بقصة أهل الكهف، ثم نهاه عن أن يعد بفعل شيء دون التقييد بمشيئة الله.[5]

---

[1] فتح القدير، ج2، ص217.

[2] ينظر: تفسير الطبري، ج14، ص394. وروح البيان للمولى أبي الفداء، بيروت دار الفكر، ج3، ص473.

[3] ينظر: فتح القدير للشوكاني، ج2، ص441.

[4] تفسير الطبري، ج17، ص644.

[5] ينظر: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج15، ص295.

المطلب الثالث: عتاب التحذير

والمقصود من هذا النوع من العتاب أنه ((الذي أريد به التخويف من معاقبة فعل يتوقع ضرره))[1] في أسلوبٍ يحمل شيئا من الشدة يختلف باختلاف مواقف العتاب دون أن يذكر في النص شيء من عقوبة أو وعيد، لكنه عتاب الإنذار النهائي.[2]

وهناك وجه اتفاق بين عتاب التحذير و عتاب التنبيه يتمثل في أن كلا منهما فيه تخويف من عاقبة مثل هذا الفعل لو تكرر، وينفرد عتاب التحذير عن عتاب التنبيه في أن أسلوب عتاب التحذير لا يخلو من شدة تقربه من الإنذار.[3]

ومن خلال ما وصل إليه بحثنا أن عدد آيات هذا النوع من العتاب هو ثماني آيات، ومن هاته الآيات:

قوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ١٠٧ ﴾ [النساء:105-107].

جاء في سبب نزول هذه الآية أنها ((أنزلت كلها في قصة واحدة، وذلك أن رجلا من الأنصار يقال له: طعمة بن أبيرق، أحد بني ظفر بن الحارث، سرق درعا من جار له يقال له:

قتادة بن النعمان، وكانت الدرع في جراب فيه دقيق، فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى الدار وفيها أثر الدقيق. ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له: زيد بن السمين فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد عنده، وحلف لهم والله ما أخذها وما له به من علم. فقال أصحاب الدرع: بلى والله قد أدلج علينا فأخذها، وطلبنا أثره حتى دخل داره، فرأينا أثر الدقيق. فلما أن حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهوا إلى منزل اليهودي، فأخذوه فقال: دفعها إلي طعمة بن أبيرق، وشهد له أناس من اليهود على ذلك، فقالت بنو ظفر. وهم قوم طعمة-:

---

[1] عتاب الله عز وجل للأنبياء عليهم السلام، ص72.

[2] ينظر: آيات عتاب المصطفى صلى الله عليه وسلم، ص208، وعتاب الله عز وجل للأنبياء عليهم السلام، ص72.

[3] ينظر: آيات عتاب المصطفى صلى الله عليه وسلم، ص208.

انطلقوا بنا إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فكلموه في ذلك وسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا: إن لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبريء اليهودي، فهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم– أن يفعل– وكان هواه معهم– وأن يعاقب اليهودي، حتى أنزل الله تعالى: إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق الآية كلها. »[1]

وموطن العتاب في هذه الآيات يكمن في توجيه النهي إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وذلك من أمرين:

أولا: ألا يكون خصيما للبرآء لأجل الخائنين.

وهذا الأسلوب وإن كان لم يستلزم وقوع المنهي عنه من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلا أنه قد يشعر بحديث هجس في نفس الرسول – صلى الله عليه وسلم – قبل أن يبين الله له جلية الأمر فيهم – أخذا بظاهر الحال من الذين تجمعوا وشهدوا عنده – صلى الله عليه وسلم – ببراءة هذا الرجل، مع ما في أسلوب الآية من شدة في الخطاب وتصوير هذه الشدة بألفاظ تؤكد هذه الشدة مما يشعر لأول وهلة وقبل التأمل أنه قد وقع من النبي – صلى الله عليه وسلم – ما يبرر هذا النهي بهذا الأسلوب.

وثانيا: نهيه – صلى الله عليه وسلم – عن المجادلة عن الخائنين التي هي أثر من آثار ما تضمنه النهي في الجملة الأولى مع ما فيها –كالنهي الأول– من شدة في الأسلوب والألفاظ.

أما أنه من عتاب التحذير فلاشتماله –في موضعيه– على شدة الأسلوب الذي خرج مخرج التحذير مما يخشى في ظاهر الحال أثر وقوعه لو تكرر.[2]

والغرض من النهي في قوله تعالى ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾

هو ألا يحسن الظن بقوم بمجرد أنهم مسلمون، وألا يساعد من يظن أنه صاحب الحق، بل يسوي بين الخصمين في كل شيء حتى تظهر براءة أحدهما وخيانة الآخر.

---

[1] أسباب النزول لأبو الحسن الواحدي، ت: زغلول، بيروت دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ، ص182.

[2] ينظر: آيات عتاب المصطفى صلى الله عليه وسلم، ص221.

أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار من ذلك؛ لأنه أحسن الظن بقوم لأنهم مسلمون، ومال قلبه إلى براءتهم وجاء على سبيل العتاب التحذيري.[1]

ومن آيات هذا النوع من العتاب كذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ ﴾ [التحريم:1].

قوله سبحانه (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ)، ((خطاب لرسول الله – صلى الله عليه وسلم– يراد به هو، وتراد به أمته من بعده، فلا ينبغي لأحد أن يحرم شيئاً أحله الله سبحانه وتعالى ابتغاء مرضاة أي شخص كان، وقد عاتب الله نبيه محمداً – صلى الله عليه وسلم– هذا العتاب.))[2]

وهو عتاب مؤثر موح، فما يجوز أن يحرّم المؤمن على نفسه ما أحله الله له من متاع الدنيا والرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن حرم العسل أو حرم مارية بمعنى التحريم الشرعي؛ إنما كان قد قرر حرمان نفسه، فجاء هذا العتاب يوحي بأن ما جعله الله حلالا فلا يجوز حرمان النفس منه عمدا وقصدا نزولا عند طلب أي أحد كان.[3]

ولهذا فيجب ويتحتم علينا ((أن لا تطغى العاطفة على ديننا، ولا ينبغي أن يطغى الحب على الشرع، بل الشرع فوق كل شيء، وفوق كل أحد، ومحبة الشرع فوق كل محبة، فلا ينبغي أن تحرص على مرضاة أزواجك وتحرم على نفسك شيئاً أحله الله سبحانه وتعالى لك، أو تحل شيئاً حرمه الله سبحانه وتعالى عليك.))[4]

إن هذا العتاب كان على ما بدر منه – صلى الله عليه وسلم – من تقديمه رضا أزواجه على ما يختص براحته النفسية ومتعته الجسدية وسروره القلبي بمنعه نفسه مما أحله الله له لابتغاء مرضاة أزواجه. فالقيد ﴿تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَ﴾ هو محط العتاب في الحقيقة،[5] فقد عاتبه على إتعاب نفسه والتضييق عليها من أجل مرضاة أزواجه، كأنه يقول: لا تتعب نفسك في سبيل أزواجك

---

(1) عتاب الله عز وجل للأنبياء عليهم السلام في القرآن، ص75.

(2) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي، الدرس 66 ص2.

(3) ينظر: في ظلال القرآن لسيد قطب ، القاهرة دار الشروق، ط17، 1412هـ، ج6، ص3615.

(4) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي، الدرس 66 ص2.

(5) ينظر: آيات عتاب المصطفى صلى الله عليه وسلم،ص298.

وأزواجك يسعين في مرضاتك، فأرح نفسك من هذا العناء ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ أي تطلب رضا أزواجك بتحريم ما أحلَّ الله لك.[1]

وفي ذلك تلميح إلى ما في طبائع النساء من قلة رضاهن بما يمنحن من الفضل والعطاء والإحسان.

وفيه -أيضا- تلميح إلى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - في مكانته العليا وفضله العظيم أنه ما كان ينبغي له - صلى الله عليه وسلم - أن يتنزل -تفضلا منه وإحسانا إليهن- بمقامه العظيم عند ترضية أزواجه بتحريم ما أحل الله له، ومنعه نفسه الطاهرة من المتعة والسرور لمجرد إرضائهن وإن ارضاءهن -ولا سيما فيما يختص بأسرار الزوجية ومتعتها- عزيز المنال إن رضين مرة فقد يغضبن مرات.

ومن هنا كان في ذلك درس بالغ لتربية أزواجه الطاهرات على السنن الزوجية، وكان في ذلك - أيضا- درس للنبي - صلى الله عليه وسلم - في معاملة أزواجه ومعاشرتهن معاشرة تبقى معها القدوة للنساء المؤمنات.[2]

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١﴾ أي: بليغ المغفرة والرحمة لما فرط منك من تحريم ما أحل الله لك، قيل وكان ذلك ذنبا من الصغائر لهذا عاتبه الله عليه، وقيل إنها معاتبة على ترك الأولى.[3] وهذا هو الصواب والله أعلم.

من الآيات كذلك التي جاءت في أسلوب عتاب التحذير؛ قوله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ ﴾ [عبس:1-10].

بدأت السورة بعتاب النبي -صلى الله عليه وسلم- على ما كان منه من إعراضه عن ابن أُم مكتوم وعبوسه في وجهه حين جاءه راغبا في العلم والهداية، وكان -صلوات الله عليه- مشغولا

---

[1] ينظر: صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني ، القاهرة دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1417هـ، ج3، ص383.

[2] آيات عتاب المصطفى صلى الله عليه وسلم، ص299.

[3] فتح القدير للشوكاني، ج5، ص349.

بدعوة سادات قريش إلى الإسلام رجاء أَن يسلموا، فيسلم بإسلامهم خلق كثير،[1] وفعله – صلى الله عليه وسلم– هذا إنما كان حرصا منه على أداء رسالته ونشرها فبإسلام هؤلاء سيقل سفك الدماء وتقل الحروب.

يصور سيد قطب هذا العتاب بقوله ((ثم يستدير التعبير– بعد مواراة الفعل الذي نشأ عنه العتاب– يستدير إلى العتاب في صيغة الخطاب، فيبدأ هادئا شيئا ما: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ۝٤﴾))[2]، وما يعلمك ويخبرك يا محمد لعل هذا الأعمى الذي عبست في وجهه يتطهر من ذنوبه بما يتلقاه عنك من العلم والمعرفة، وأن يتيقظ قلبه فيتذكر فتنفعه الذكرى، وما يدريك أن يشرق هذا القلب بقبس من نور الله، فيستحيل منارة في الأرض تستقبل نور السماء؟ الأمر الذي يتحقق كلما تفتح قلب للهدى وتمت حقيقة الإيمان فيه. وهو الأمر العظيم الثقيل في ميزان الله.

ثم تعلو نبرة العتاب وتشتد لهجته وينتقل إلى التعجيب من ذلك الفعل محل العتاب: ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾

أما من أظهر الاستغناء عنك وعن دينك وعما عندك من الهدى والخير والنور والطهارة، أما هذا فأنت تتصدى له وتحفل أمره، وتجهد لهدايته، وتتعرض له وهو عنك معرض {وما عليك ألا يزكى} وما يضيرك أن يظل في رجسه ودنسه؟ وأنت لا تسأل عن ذنبه، وأنت لا تنصر به، وأنت لا تقوم بأمره. {وأما من جاءك يسعى} طائعا مختارا {وَهُوَ يَخْشى} ويتوقى {فأنت عنه تلهّى}أي: تعرض وتتشاغل بغيره[3]

---

[1] التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، ط1 1414هـ، ج10، ص1781.

[2] في ظلال القرآن لسيد قطب، ج6، ص3825.

[3] ينظر: صفوة التفاسير، ج3، ص494، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي ابن أبي طالب، ت: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ط1، 1429هـ- 2008م، ج12، ص8055.

المبحث الثاني: الآيات الواردة في عتاب أولي العزم من الرسل عليهم السلام

المطلب الأول: الآيات الواردة في عتاب نبينا نوح – عليه السلام–

المطلب الثاني: الآيات الواردة في عتاب نبينا ابراهيم – عليه السلام–

المطلب الثالث: الآيات الواردة في عتاب نبينا موسى – عليه السلام–

المطلب الرابع: الآيات الواردة في عتاب نبينا عيسى – عليه السلام–

المبحث الثاني: الآيات الواردة في عتاب أولي العزم من الرسل عليهم السلام

سيتناول الباحث في هذا المبحث الآيات التي عاتبت فيها أولي العزم الأربعة من غير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم – لأننا تحدثنا عنه في المبحث السابق – وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وقد جاء العتاب لنوح –عليه السلام– في موضع واحد في سورة هود، وأما إبراهيم فقد جاء ما يشبه العتاب وليس بعتاب، وأما النبي كليم الله فقد جاء في أربعة مواضع سيتم تفصيلها في أماكنها، وأما ابن مريم فلم يُعاتب إلا أن هناك استفهام يشبه العتاب وسأذكره إن شاء الله في موضعه.

المطلب الأول: الآيات الواردة في عتاب نبينا نوح – عليه السلام –

قال عز وجل في سورة هود – عليه السلام –: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [هود: 45-46].

في هذه الآية نادى نوح ربه متضرعا إليه بقوله المتأدب: يا رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت وحدك الذي تعرف الحكمة من إغراقه لأنك أحكم الحاكمين، دون أن يصرح نوح –عليه السلام– بمطلوبه وهو نجاة ابنه تأدبا مع الله تعالى وحياء منه سبحانه واعتقادا منه بأنه سبحانه عليم بما يريده، وخبير بما يجول في نفسه.

ولعل نوحا– عليه السلام– عند ما تضرع إلى ربه سبحانه بهذا الدعاء لم يكن يعلم أن طلب الرحمة أو النجاة لابنه الكافر ممنوع.[1]

وقد يكون سبب نداء نوح ربه لنجاة ابنه أنه كما قال ابن عاشور ((قد كان نوح – عليه السلام– غير منهي عن ذلك، ولم يكن تقرر في شرعه العلم بعدم المغفرة للكافرين، فكان حال نوح– عليه السلام– كحال النبيء –صلى الله عليه وسلم– حين قال لأبي طالب " لأستغفرن لك

[1] ينظر: التفسير الوسيط لسيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ، القاهرة، ط1، 1998، ج7، ص213.

ما لم أنه عنك " قبل أن ينزل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة: 113] الآية". [1]

وبعد أن تضرع نوح لربه " جاءه الرد بالحقيقة التي غفل عنها، فالأهل- عند الله وفي دينه وميزانه- ليسوا قرابة الدم، إنما هم قرابة العقيدة. وهذا الولد لم يكن مؤمنا، فليس إذن من أهله وهو النبي المؤمن، جاءه الرد هكذا في قوة وتقرير وتوكيد وفيما يشبه التقريع والتأنيب والتهديد: قال: يا نوح إنه ليس من أهلك، إنه عمل غير صالح، فلا تسئلن ما ليس لك به علم، إني أعظك أن تكون من الجاهلين. "[2]

وسؤاله -عليه السلام- هذا هو ما أدى به إلى العتاب من قبل الله عز وجل لأنه سأل سؤالا لا ينبغي أن يسأل في مقامه لأنه نبي ورسول فعاتبه بقوله (يا نوح إنه ليس من اهلك) لأنه لم يؤمن بك ولم يكن ممن اتبعك، ولأنه عمل غير صالح وكما جاء في قراءة أخرى عمل غير صلح وزاد في العتاب بقوله (فلا تسئلن) وهذا من أنواع عتاب التحذير لأن قوله تعالى: (إني أعظك أن تكون من الجاهلين) يوافق ما زجر به المؤمنين في حادثة الإفك حيث قال : (يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا) إلا أنه يخلف بهم في هذا المقام[3]، كما حكى ذلك ابن العربي " وهذه زيادة من الله وموعظة يرفع بها نوحا عن مقام الجاهلين، ويعليه بها إلى مقام العلماء العاملين."[4]

ونوع العتاب الوارد في هذه الآيات هو من عتاب التحذير، كأنه سبحانه وتعالى يحذر نبيه – عليه السلام – من سؤاله هذا وطلبه هذا. [5]

وسيدنا نوح – عليه السلام- معذور على سؤاله هذا لأنه لم يكن يعلم أن هذا محظور عند الله عز وجل ففطرته غلبت عليه وحنان الأبوة ورأفته بابنه جعلته يطلب هذا الطلب فلم يحتمل أن يرى ابنه وهو يغرق أمام عينيه ولكن عندما جاءه الجواب والبيان من الله سبحانه ما كان منه إلا أن دعا ربه أن يغفر له وأن لا يسأل مرة أخرى على ما يجهله.

---

[1] التحرير والتنوير، ج12، ص85.

[2] في ظلال القرآن لسيد قطب، ج4، ص1879.

[3] ينظر: عتاب الله عز وجل للأنبياء عليهم السلام، ص38.

[4] فتح القدير للشوكاني، ج2، ص571.

[5] ينظر: عتاب الله عز وجل للأنبياء عليهم السلام، ص38.

المطلب الثاني: الآيات الواردة في عتاب نبينا إبراهيم – عليه السلام –

لم يرد العتاب في حق خليل الله ابراهيم – عليه السلام – بالرغم من أنه جاءت كثير من الآيات بما تشبه العتاب، فبعد الاطلاع على تلك الآيات ظهرت بأنها ليست عتاب بل جاءت تحكي جدالا بينه وبين قومه أو بينه وبين أبيه، أو مدحا له من قبل ربه وبيان منزلته ومزيته ومقامه عند ربه، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤ ﴾ [البقرة: 124].

فهذه الآيات جاءت ترفع من مقام إبراهيم – عليه السلام – بأن جعله الله إماما للناس، كما ذكر ذلك المراغي في تفسيره حيث قال عند تفسيره لهذه الآية: ((إني جاعلك للناس رسولا يؤتمّ بك، ويقتدى بهداك إلى يوم القيامة، فدعا الناس إلى الحنيفية السمحة وهى الإيمان بالله وتوحيده والبراءة من الشرك، وما زال هذا جاريا في ذريته، فلم ينقطع منها دين التوحيد، ولأجل هذا وصف الله الإسلام بأنه ملة إبراهيم.))[1]

وقد يقال كيف بمثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٦٠ ﴾ [البقرة: 260].

فطلب إبراهيم هذا ألا يشبه طلب نوح – عليه السلام – ؟

نجد الإجابة على هذا السؤال عند الإمام القرطبي – رحمه الله – بقوله ((أن الاستفهام بكيف إنما هو سؤال عن حالة شيء موجود متقرر الوجود عند السائل والمسؤول.))[2]

معناه أن هذا السؤال ممكن الإجابة عنه ومتقرر السائل والمسؤول ولا وجود لأي مانع من عدم الإجابة عليه، فهو عبارة عن سؤال استعلامي لشيء ممكن.

---

[1] تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365هـ - 1946م، ج1، ص209.

[2] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرة القاهرة، ط2، 1384هـ-1964م، ج3، ص299.

أما عن قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [هود: 74 – 76].

وقوله أيضا: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ [الممتحنة:4].

فهذه الآيات فهي وإن كان ظاهرها شكل عتاب فهي في الحقيقة واقعة موقع الخبر لأنه لم يوجه إليه، ولم ينبه أو يحذر من شيء، وإنما هو إخبار له بأن أمر ربه آت ولا مفر منه، وإخبار لهذه الأمة بما ينبغي لها أن تتأسى، -والله تعالى أعلم-. [1]

[1] ينظر: عتاب الله عز وجل للأنبياء عليهم السلام، ص40.

المطلب الثالث: الآيات الواردة في عتاب نبينا موسى – عليه السلام –

جاء العتاب للنبي موسى – عليه السلام – في أربعة مواضع من القرآن الكريم في أربع سور وهي: الأعراف والكهف وطه والقصص، ونبدأ مع الموضع الأول والذي جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣ ﴾ [الأعراف: 143].

في هذه الآية الكريمة طلب نبينا موسى – عليه السلام – من الله عز وجل أن يريه ذاته المقدسة، وطلب سيدنا موسى هذا يشبه طلب سيدنا نوح –عليه السلام– لنجاة ابنه، فسؤال موسى لم يكن لشيء مستحيل بل هو أمر جائز، قال الشوكاني: ((وسؤال موسى للرؤية يدل على أنها جائزة عنده في الجملة، ولو كانت مستحيلة عنده لما سألها.))[1]

وبعد أن طلب موسى هذا الطلب جاءه الجواب من الله عز وجل يا موسى إنك لا تتحمل ولا تثبت لرؤيتي ولا يثبت لها ما هو أعظم منك جرما وصلابة وقوة، وهو الجبل، فإن ثبت هذا الجبل لدى التجلي وبقي مستقرا في مكانه فسوف تراني، إذ هو مشارك لك في مادة هذا العالم الفاني وإذا كان الجبل في قوته وثباته لا يستطيع أن يثبت ويستقر؛ لأنّ مادته غير مستعدة لقوة تجلي خالقه وخالق كل شيء، فاعلم أنّك لن تراني أيضا، وأنت مشارك له في كونك مخلوقا من هذه المادة وخاضعا للسنن الربانية في ضعف استعدادها.[2]

فلما رأى موسى الجبل بعد التجلي مدكوكا مدقوقا لم يستطع التحمل فخر مغشيا عليه من هول المنظر.

وبعد أن أفاق موسى من غشيته نزه الله سبحانه أن يسأله شيئا لم يأذن له به، وأن لا يعود إلى سؤال عن شيء بغير إذن منه سبحانه، وأكثر المفسرين يجعلون وجه التنزيه والتوبة أنّه سأل الرؤية

---

[1] فتح القدير، ج2، ص276.

[2] ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، لابن عبد الله الأرمي العلوي الهرري، دار طوق النجاة، بيروت لبنان، ط1، 1421هـ - 2001م، ج10، ص123.

بغير إذن من الله تعالى، فتاب ورجع عما طلب،[1] قال القرطبي: ((وأجمعت الأمة على أن هذه التوبة ما كانت عن معصية، فإن الأنبياء معصومون.))[2] ففهم من غشية موسى أن الله يعاتبه على هذا السؤال، وهو مثل ما وقع لنوح -عليه السلام- لكن كان العتاب لنوح مباشر وبالكلام بقوله (فلا تسئلن ما ليسك لك به علم) وهنا جاء بالفعل وهو غشيته -عليه السلام-.

نوع هذا العتاب الوارد في هذه الآية الكريمة هو عتاب التنبيه وهو تنبيه لنبي الله موسى – عليه السلام– إلى ما وقع منه فلو لم ينبه لوقع منه ذلك الفعل أو الطلب مرة أخرى.[3]

أما الموضع الثاني الذي عاتب الله فيه النبي موسى -عليه السلام- فقد جاء في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [الكهف:60].

فقد جاء في سبب نزول هذه الآيات عن ((أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم: " أن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل، فسئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه، إذ لم يرد العلم إليه، فقال له: بلى، لي عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك.))[4]

فهذا الحديث يشير إلى أن الله تعالى عاتب نبيه موسى عليه السلام بأن جعل نفسه هو أعلم الخلق، ولم يرد العلم لله سبحانه.

فعتاب الله سبحانه هذا هو تنبيه على ما ورد منه عليه السلام لما وقع منه فلو أنه لم ينبه إلى ذلك لحسب نفسه أنه أعلم الناس ولتكرر منه فعله هذا أو أفعال مشابهة.

أما الموضع الثالث والرابع الذي جاء لعتاب النبي موسى – عليه السلام- فهو في سورتي طه والقصص في قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [طه: 40].

---

[1] ينظر: المرجع السابق ج10، ص123.

[2] الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج7، ص279.

[3] ينظر: عتاب الله عز وجل للأنبياء عليهم السلام، ص41.

[4] صحيح البخاري، ت محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى -عليه السلام- رقم الحديث3401، ج4، ص154.

وقوله تعالى في سورة القصص: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧ ﴾ [القصص:7].

فالله سبحانه يمن على النبي موسى –عليه السلام– بأن نجاه من كل الفتن والابتلاءات التي تعرض لها وكل ذلك بتوفيق منه سبحانه.

فبيان الله تعالى لموسى عليه السلام بأن أمك حملت بك في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأبناء، فنجاك الله من الذبح، وأن أمك ألقتك في البحر بعد وضعك في التابوت، فالتقطك آل فرعون وعنوا بتربيتك ورعايتك، وأنك امتنعتَ عن الرضاع إلا من ثدي أمك، وكان ذلك وسيلةً إلى إرجاعك إليها، وقتلك القبطي، وخروجك إلى مدين هارباً، ومهاجرتك من الوطن، ومفارقتك الأحباب، والمشي راجلًا، ونحو ذلك مما وقع قبل وصولك إلى مدين، كل هذا جاء على سبيل العتاب التوجيهي والامتنان عليه بصنعه له سبحانه، وتقوية قلبه عند ملاقاة ما سيقع له من ذلك مع فرعون وبني اسرائيل.[1]

والمقصود من هذا العتاب هو توجيه نبي الله موسى–عليه السلام– في مطلع الرسالة والدعوة إليها إلى ما يراد منه في تبليغ ما أنزله الله عليه من آيات رسالته وتبليغ ذلك إلى الأمة مهما وجد في سبيل ذلك من إعنات وعناد وعقبات وإيذاء، وهو من نوع عتاب الدفع وتقوية عزيمته –عليه السلام– لينهض بأبلغ الطاقة البشرية في تبليغ الرسالة. [2]

---

[1] ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ج17، ص284، وعتاب الله عز وجل للأنبياء عليهم السلام ص45، وفتح القدير، ج3، ص432.

[2] ينظر: عتاب الله عز وجل للأنبياء عليهم السلام، ص45.

المطلب الرابع: الآيات الواردة في عتاب نبينا عيسى –عليه السلام–

لم أعثر على أي آية عاتبت سيدنا عيسى –عليه السلام– خلال بحثي إلا أن هناك آيات تظهر أن فيها عتاب، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المائدة:116].

قد يقال بأن سؤال الله عز وجل لعيسى –عليه السلام– عتاب له؟

إن هذا السؤال يكون يوم القيامة على القول الأصح، وإنما عبر بالماضي لما مر من الدلالة على التحقيق والوقوع، والاستفهام هذا للإنكار والتوبيخ لمن ادعى ذلك على عيسى –عليه السلام– من النصارى؛ لأن عيسى –عليه السلام– لم يقل هذه المقالة.[1]

فإذا كان عيسى –عليه السلام– لم يقل هذه المقالة فما وجه هذا السؤال له مع علم الله بأنه لم يقلها؟

ويجيب على هذا التساؤل الخازن –رحمه الله– في تفسيره بقوله "وجه هذا السؤال تثبيت الحجة على قومه وإكذاب لهم في ادعائهم ذلك عليه وأنه أمرهم به فهو كما يقول القائل لآخر: أفعلت كذا؟ وهو يعلم أنه لم يفعله وإنما أراد تعظيم ذلك الفعل فنفى عن نفسه هذه المقالة."[2]

أما قوله عز وجل: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ۚ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحديد:27].

فهذه الآية ليست عتاب للنبي عيسى –عليه السلام– بل هي لحواريه الذين أعطوا رأفة ورحمة ورهبانية أرادوا بها عبادة الله والتقرب إليه بها ولكنهم لم يحافظوا على هذه الرهبانية وما قاموا

---

[1] ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان، ج8، ص164 .

[2] لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن، ت: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1415هـ، ج2 ص94.

مما التزموه حق القيام، بل ضيّعوها، وكفروا بدين عيسى بن مريم، فضموا إليه التثليث ودخلوا في دين الملوك الذين غيروا وبدلوا.

وفي هذا ذم لهم من وجهين:

- أنهم ابتدعوا في دين الله ما لم يأمر به.

- أنهم لم يقوموا بما فرضوه على أنفسهم مما زعموا أنه قربة يقرّبهم إلى ربهم، وقد كان ذلك كالنذر الذي يجب رعايته، والعهد الذي يجب الوفاء به.[1]

[1] تفسير المراغي، ج27، ص186.

المبحث الثالث: الآيات الواردة في عتاب الأنبياء عليهم السلام من غير أولي العزم من الرسل

المطلب الأول: الآيات الواردة في عتاب نبينا آدم عليه السلام

المطلب الثاني: الآيات الواردة في عتاب نبينا يوسف عليه السلام

المطلب الثالث: الآيات الواردة في عتاب نبينا داود عليه السلام

المطلب الرابع: الآيات الواردة في عتاب نبينا سليمان عليه السلام

المطلب الخامس: الآيات الواردة في عتاب نبينا يونس عليه السلام

المبحث الثالث: الآيات الواردة في عتاب الأنبياء –عليهم السلام– من غير أولي العزم من الرسل

سيقوم الباحث في هذا المبحث بدراسة آيات عتاب الأنبياء من غير أولي العزم من الرسل وهم آدم ويوسف وداود وسليمان ويونس –عليهم السلام–، وقد جاء العتاب للنبي آدم –عليه السلام– في ثلاث مواضع من القرآن الكريم، أما النبي يوسف – عليه السلام– فقد عاتبه الله في موضع واحد، وكذلك النبي داود فقد جاء العتاب له في سورة ص، وفيها أيضا عاتب النبي سليمان – عليه السلام– أما النبي يونس فقد عاتبه سبحانه في ثلاث مواضع.

المطلب الأول: الآيات الواردة في عتاب نبينا آدم –عليه السلام–

قص علينا القرآن الكريم قصة خلق آدم وحواره مع ربه سبحانه، وخروجه من الجنة بسبب عصيانه له سبحانه وبهذا عاتبه سبحانه وتعالى، وجاء ذلك في ثلاث سور من القرآن الكريم وهي: البقرة والأعراف وطه، وكلها تحدثت عن عصيان آدم وخروجه من الجنة ولكن كل موضع بأسلوب مختلف، وأول هذه المواضع قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [البقرة:35-37].

والموضع الثاني وهو محل الشاهد فقط في قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأعراف:22].

وأما الموضع الثالث فجاء بسورة طه في قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [طه: 115].

وأيضا قوله تعالى بنفس السورة: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ [طه:121].

ففي هذه الآيات بين الله تعالى ما حصل لنبيه آدم مع إبليس وإخراجه من الجنة، فبعد أن كان متنعما في الجنة وقد ضمن له سبحانه الحياة، وليست الحياة فقط ولكن رغدا، أي مباحا وبلا تعب وعن سعة وبدون مشقة، فأغواهما الشيطان وأخرجهما من هذا النعيم الذي كانا فيه بسبب أكلهما من الشجرة التي نهاهما سبحانه عن الأكل منها[1]، وبعد أن أكلا منها ناداهما سبحانه معاتبا ومحذرا، كما ذكر ذلك الشوكاني عند تفسيره لموضع سورة الأعراف فقال: ((وهذا عتاب من الله لهما وتوبيخ حيث لم يحذرا ما حذرهما منه.))[2]

ثم قال تعالى مبينا عتابه الشديد على نبيه وأن هذا التصرف لا يليق بمن هو في مقام النبوة: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [طه: 115].

بمعنى ((وصينا آدم من قبل هذه الأمم التي أمرناها ونهيناها فلم يطع أكثرها وصيناه بأن لا يطيع عدوه إبليس وأن لا يأكل من الشجرة فترك وصيتنا ناسياً لها غير مبال بها وأطاع عدوه وأكل من الشجرة، ولم نجد له عزماً بل ضعف أمام الإغراء والتزيين فلم يحفظ العهد ولم يصبر على الطاعة.))[3]

وأثبت الله تعالى أن ما فعله نبيه آدم –عليه السلام– كان عصيانا وذلك عند قوله تعالى: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ [طه:121]، ولكن الأنبياء –عليهم السلام– سرعان ما يعودون ويتوبون، فآدم –عليه السلام– عاد إلى الله وتاب من عصيانه هذا، فدعا بكلمات ألهمها له ربه وهي مذكورة في موضع الأعراف في قوله تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف:23].[4]

---

[1] ينظر: تفسير الشعراوي ، مطابع أخبار اليوم، ج1، ص262.

[2] فتح القدير، ج2، ص223.

[3] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط5 1424هـ-2003م، ج3، ص382 .

[4] ينظر: عتاب الله عز وجل للأنبياء عليهم السلام، ص49، وصفوة التفاسير للصابوني، ج1، ص408.

والله سبحانه من اسمائه الغفور، فهو يستحيي من العبد إذا رفع له أكف التضرع وطلب المغفرة أن يردهما خائبين، فما ظنكم إن كان نبيا، فغفر له سبحانه، فقال: ﴿ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢ ﴾ [طه:122].

أما نوع العتاب في هذه الآيات وآية الأعراف خصوصا هو ((عتاب التحذير، والمقصود منه تحذير نبينا آدم –عليه السلام– من عاقبة أمر وقع فيه خطأ.))[1]

المطلب الثاني: الآيات الواردة في عتاب نبينا يوسف –عليه السلام–

قال تعالى في سورة يوسف: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ٤٢ ﴾ [يوسف: 42].

قال يوسف– عليه السلام– للفتى الذي اعتقد أنه سينجو منهما وهو ساقي الملك، أيها الساقي بعد أن تخرج من السجن وتعود إلى عملك عند سيدك الملك، اذكر حقيقة حالي عنده وأني سجين مظلوم، واذكر له إحساني بتفسيري للرؤى.

ولكن الساقي بعد أن عاد إلى عمله عند الملك، لم ينفذ الوصية، لأن الشيطان أنساه ما قاله له يوسف، فكانت النتيجة أن لبث يوسف– عليه السلام– في السجن مظلوما بضع سنين.[2]

وسبب بقاء يوسف –عليه السلام في السجن بضع سنين هو عقاب من الله سبحانه وعتاب له على استعانته بغيره واستغاثته لمخلوق مثله؛ لأنه طلب من الساقي أن يذكره عند الملك ليخرجه من هذه المحنة ومن هذا الظلم.

والذي يبين هذا العتاب هو الحديث المروي عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " رحم الله يوسف لولا الكلمة التي قالها اذكرني عند ربك ما لبث في السجن ما لبث."[3]

---

[1] عتاب الله عز وجل للأنبياء عليهم السلام، ص49.

[2] ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي، ج7، ص364.

[3] صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان لابن حبان، ت: شعيب الأرنؤوط، ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ 1993م، ج14، ص86. قال صاحب التحقيق اسناده حسن.

وذكر القرطبي أيضا: ((قال ابن عباس: عوقب يوسف بطول الحبس بضع سنين لما قال للذي نجا منهما" اذكرني عند ربك" ولو ذكر يوسف ربه لخلصه.))[1]

وجاء في المعجم الكبير ((عن ابن عباس، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم قال: " عجبت لصبر أخي يوسف وكرمه والله يغفر له حيث أرسل إليه ليستفتى في الرؤيا، ولو كنت أنا لم أفعل حتى أخرج، وعجبت لصبره وكرمه والله يغفر له أتي ليخرج فلم يخرج حتى أخبرهم بعذره، ولو كنت أنا لبادرت الباب، ولولا الكلمة لما لبث في السجن حيث يبتغي الفرج من عند غير الله قوله: ﴿ ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾.))[2]

وروى إسماعيل بن إبراهيم عن يونس عن الحسن قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "لولا كلمة يوسف- يعني قوله: اذكرني عند ربك- ما لبث في السجن ما لبث" قال: ثم يبكي الحسن ويقول: نحن ينزل بنا الأمر فنشكو إلى الناس." [3]

أما نوع العتاب في هذه الآية الذي وتب به نبينا يوسف —عليه السلام- فهو من نوع عتاب التحذير، وهو عتاب شديد عاتبه به سبحانه بإبقائه مدة طويلة في السجن لأن هذا الفعل الذي عوتب من أجله فعل كبير وهو استغاثته بغير الله، فواجب أن لا يصدر هذا الفعل من نبي.

المطلب الثالث: الآيات الواردة في عتاب نبينا داود عليه السلام

جاء العتاب لسيدنا داود -عليه السلام- في سورة ص وذلك في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ٢١ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ٢٢ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ٢٣ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ ٢٤ ﴾ [ص: 21-24].

---

[1] تفسير القرطبي، ج9، ص196.

[2] المعجم الكبير للطبراني، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية القاهرة، ط2، ج11، ص249.

[3] تفسير القرطبي، ج9، ص196.

بدأت هذه الآيات بالاستفهام؛ أي يا محمد هل أتاك نبأ الخصمين الذين تخاصما عند النبي داود –عليه السلام–، ومن هنا بدأ في ذكر فتنة داود –عليه السلام–.

جاء في كتب المفسرين أن داود –عليه السلام– كان يخصص بعض وقته للحكم بين الناس وبعضه لأهله وبعضه للعبادة، وكان إذا دخل للعبادة لا يدخل عليه أحد، فبينما هو في خلوته وعبادته في محرابه إذ بشخصين يتسوران المحراب المغلق عليه ففزع منهم، واختلفت أقوال المفسرين في هؤلاء الشخصين؛ فقيل ملكين وقيل غير ذلك، والباحث يرد علمه إلى الله سبحانه ما لم ترد نصوص صريحة في ذلك، وبدأ هؤلاء الشخصين بسرد السبب الذي أتوا من أجله وأنهم خصمان بغى بعضهم على بعض.

وبدأوا بأسلوب غليظ كما قال ابن عطية في قولهم (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) بأنه ((إغلاظ على الحاكم واستدعاء بعدله))[1] فنهياه عن الجور في حكمه وأن يرشدهما إلى طريق الحق وبعد سرد الخصومة إجمالا شرعا في سردها تفصيلا، فقالا: إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها، أي: تنازل لي عنها لأضمها إلى ما عندي، وغلبني في المحاجة، وقيل في النعجة هنا أن معنها المرأة، وهذا قول بعيد عن الصحة، قال أبو حيان: ((والظاهر إبقاء لفظ النعجة على حقيقتها من كونها أنثى الضأن، ولا يكنى بها عن المرأة، ولا ضرورة تدعو إلى ذلك.))[2]

ثم جاء الحكم من داود –عليه السلام– فقال: لقد ظلمك بسؤال نعجتك إل نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض، ثم اختفى هذان الخصمان، فتنبه داود إلى أن هذا ابتلاء فاستغفر داود ربه وخر له راكعا وتاب، وقد اختلف المفسرون في ذنب داود الذي استغفر منه وتاب عنه إلى عدة أقوال أغلبها من الإسرائيليات ولا داعي لسردها هنا، ولكن نذكر القول الأقرب للصواب، وهو ((أنه سمع لأحد الخصمين قبل أن يسمع من الآخر))[3] فبعد حكمه شعر داود أنه عتاب من الله له على ما وقع فيه، ولا يقتضي هذا أن داود – عليه السلام– وقع فيما لا يجوز

---

[1] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية بيروت ط1، 1422هـ، ج4، ص499.

[2] البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت، 1420هـ، ج9، ص149.

[3] فتح القدير، ج4،ص490.

شرعا، وإنما عوتب على أمر جائز، كان ينبغي له أن يتنزه عنه لعلوّ مرتبته ومتانة دينه، فإنه قد يعاتب الفضلاء على ما لا يعاتب عليه غيرهم، كما قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين. [1]

أما نوع العتاب في هذه الآيات فهو من نوع عتاب التحذير، فلو أن داود –عليه السلام– لم يحذر من اجتهاده هذا لوقع هذا الفعل منه مرة أخرى.

المطلب الرابع: الآيات الواردة في عتاب نبينا سليمان –عليه السلام–

جاء العتاب لسيدنا سليمان –عليه السلام– في سورة ص وذلك أن الله أخبر عن فتنة سليمان في قوله سبحانه في سورة ص: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [ص:34-35].

ابتلى سبحانه نبيه سليمان –عليه السلام– واختلف في سبب هذا الابتلاء على عدة أقوال قال الواحدي: ((قال أكثر المفسرين: تزوج سليمان عليه السلام امرأة من بنات الملوك، فعبدت الصنم في داره، ولم يعلم بذلك سليمان، فامتحن بسبب غفلته كانت عن ذلك.))[2]

وقيل أيضا أن سبب هذه الفتنة ما رواه سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: اختصم إلى سليمان – عليه السلام– فريقان أحدهما من أهل جرادة امرأة سليمان، وكان يحبها فهوى أن يقع القضاء لهم، ثم قضى بينهما بالحق، فأصابه الذي أصابه عقوبة لذلك الهوى. وقال سعيد بن المسيب: إن سليمان – عليه السلام– احتجب عن الناس ثلاثة أيام لا يقضي بين أحد، ولا ينصف مظلوما من ظالم، فأوحى الله تعالى إليه: " إني لم أستخلفك لتحتجب عن عبادي ولكن لتقضي بينهم وتنصف مظلومهم".[3]

ولكن القول الذي يراه صاحب البحث –والله أعلم– ، ما جاء في الصحيحين، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " قال سليمان بن داود: لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلها

---

[1] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، ت: د عبد الله الخالدي ، دار الأرقم بن أبس الأرقم، ط1، 1416هـ، ج2 ص206.

[2] الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي النيسابوري، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د أحمد محمد صيرة، د أحمد عبد الغني الجمل، د عبد الرحمن عويس ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1415هـ-1994م ج3، ص553.

[3] تفسير القرطبي، ج15، ص198.

تأتي بفارس يقاتل في سبيل الله، فقال له صاحبه: قل: إن شاء الله، فلم يقل: إن شاء الله، فطاف عليهن جميعا، فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة، فجاءت بشق رجل، وايم الذي نفس محمد بيده لو قال: إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون. "[1]

وعتاب الله –تعالى– في هذه الآية هي هذه الفتنة التي افتتن بها، لأجل أنه لو يستثن في نذره بقول إن شاء الله، ومثل هذا جاء في سورة الكهف عندما عاتب ربنا تعالى نبيه محمد –صلى الله عليه وسلم– في قوله: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الكهف: 23-24] ثم أمره بذكر ربه عند النسيان، فقال: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ ومهما يكن فإن نبي الله سليمان –عليه السلام– فطن بعتاب الله عليه واستغفر ربه ثم أناب.

ونوع هذا العتاب عتاب تنبيهي حتى لا يقع فيه مرة أخرى، لذلك قال تعالى لما استغفره سليمان: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [ص:35-40] فلقد أعطي كل ما سأل ثم مدحه، كما جاء في سورة سبأ حيث قال: ﴿ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ:13] وكل هذا جاء لأجل استغفار إبراهيم والإنابة إلى الله عز وجل، فدعا ربه أن يغفر ذنبه، ثم دعا بدعاء ليطمئن بأن الله قد غفر له وهو أن يعطيه ملكا وجاها وسلطانا لا يسلبه منه أحد بعده. [2]

---

[1] صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي بيروت، باب الاستثناء، رقم الحديث 1654، ج3 ص1276، صحيح البخاري، باب قول الله تعالى ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب، رقم الحديث3424، ج4 ص162.

[2] ينظر: عتاب الله عز وجل للأنبياء عليهم السلام، ص56.

المطلب الخامس: الآيات الواردة في عتاب نبينا يونس –عليه السلام–

جاء الحديث عن النبي يونس –عليه السلام– وعن ما وقع له في سورة الأنبياء وفي سورة الصافات وفي سورة القلم، فقال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ ﴾ [الأنبياء: 87-88].

بعث الله يونس إلى قوم فدعام لعبادة الله وحده وترك ما هم عليه، فتمادوا على كفرهم، فخرج من بين أظهرهم مغاضبا لهم، ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث. فلما تحققوا منه ذلك، وعلموا أن النبي لا يكذب، خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم، وفرقوا بين الأمهات وأولادها، ثم تضرعوا إلى الله عز وجل، وجأروا إليه، ورغت الإبل وفضلانها، وخارت البقر وأولادها، وثغت الغنم وحملانها، فرفع الله عنهم العذاب،[1] قال الله تعالى: ﴿ فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ٩٨ ﴾ [يونس:98]، ولم يعلم يونس بتوبتهم، فلذلك ذهب مغاضبا من أجل ربه، أي غضب على قومه من أجل كفرهم بربه،[2] فذهب وركب مع قوم في سفينة فلججت بهم، وخافوا أن يغرقوا فاقترعوا على رجل يلقونه من بينهم يتخففون منه، فوقعت القرعة على يونس، فأبوا أن يلقوه، ثم أعادوا القرعة فوقعت عليه أيضا، فأبوا، ثم أعادوها فوقعت عليه أيضا، فقام يونس، عليه السلام، وتجرد من ثيابه، ثم ألقى نفسه في البحر، وقد أرسل الله، سبحانه وتعالى، من البحر الأخضر –فيما قاله ابن مسعود–حوتا يشق البحار، حتى جاء فالتقم يونس حين ألقى نفسه من السفينة، فأوحى الله إلى ذلك الحوت ألا تأكل له لحما، ولا تهشم له عظما؛ فإن يونس ليس لك رزقا، وإنما بطنك له يكون سجنا.[3]

---

[1] ينظر: تفسير ابن كثير، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ-1999م، ج5، ص366.

[2] ينظر: تفسير القرطبي، ج11، ص329.

[3] ينظر: تفسير ابن كثير، ج5، ص366.

وهذا الذي وقع للنبي يونس – عليه السلام– من القاء في البحر والتقام الحوت له، هو عتاب من الله سبحانه، فقد عاتبه بذلك عتابا بالغا شديدا، ولولا أن يونس – عليه السلام– أتى ما قاله الذين وصفوه بإتيان الخطيئة، لما عاتبه الله تعالى بمثل هذه العتاب ولما عاقبه هذه العقوبة حتى نهى الله نبينا محمدا من أن يكون مثله في عدم الصبر على الناس والعجلة في هلاكهم،[1] قال تعالى في سورة القلم –وهو الموضع الثالث الذي ذكرت فيه قصة يونس– ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ۝٤٨ لَّوۡلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ۝٤٩ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٥٠ ﴾ [القلم: 48-50] فاصبر يا محمد لقضاء ربك وحكمه فيك، وفي هؤلاء المشركين بما أتيتهم به من هذا القرآن، وهذا الدين وامض لما أمرك به ربك، ولا يثنيك عن تبليغ ما أمرت بتبليغه تكذيبهم إياك وأذاهم لك، ولا تكن كيونس فيعاقبك ربك على تركك تبليغ ذلك، كما عاقبه فحبسه في بطنه. [2]

وأما نوع العتاب الذي عوتب به يونس –عليه السلام– فهو عتاب التحذير، فقد حذر الله سبحانه نبيه –عليه السلام– مما وقع فيه، لدليل ما ورد من العقوبة والتشدد فيها، قال تعالى: ﴿ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ۝١٤٢ ﴾ [الصافات:142] واللوم لا يكون إلا عن شيء عظيم، ثم قوله تعالى: ﴿ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝١٤٤ ﴾ [الصافات: 143-144] فيتبين أن هذا فيه عظم فعله وأنه يستحق المكث في بطن الحوت إلى يوم القيامة،[3] وفيه أيضا بيان لرجوع وتوبة واستغفار الأنبياء إذا أخطئوا أو أذنبوا، والله تعالى أعلم.

---

[1] ينظر: عتاب الله عز وجل للأنبياء عليهم السلام، ص59.

[2] ينظر: تفسير الطبري، ج23، ص562.

[3] ينظر: عتاب الله عز وجل للأنبياء عليهم السلام، ص59.

المبحث الرابع: عتاب المؤمنين والكافرين

المطلب الأول: العتاب في شأن الجهاد وقسوة القلوب

المطلب الثاني: العتاب في حادثة الإفك

المطلب الثالث: عتاب الكافرين

المبحث الرابع: عتاب المؤمنين والكافرين

عاتب الله المؤمنين والكافرين في عهد نزول الوحي لوجود بعض الأخطاء خاصة من المؤمنين وقد جاء العتاب للمؤمنين في أربعة مواضع حسب ما توصلت إليه في البحث، وذكرت هذه المواضع حسب ترتيب السور، فعاتبهم في سورة الأنفال وسورة التوبة وسورة النور وسورة الحديد، وقد قسمت هذا المبحث إلى: ثلاثة مطالب: في المطلب الأول تحدثت عن عتاب المؤمنين في شأن الجهاد وقسوة القلوب، ، وهناك لطيفة استخلصتها بالنسبة لهذا المطلب وهي في العلاقة بين الجهاد وقسوة القلوب، فقسوة القلوب سبب في التثاقل عن الجهاد، وحبهم للدنيا، فعلى المؤمنين أن ترق وتليق قلوبهم لينتصروا ويثبت إيمانهم، والمطلب الثاني في عتاب المؤمنين في حادثة الإفك وجاء هذا العتاب في سورة النور، أما المطلب الثالث فكان في عتاب الكافرين والذي جاء في آية واحدة في سورة النساء .

المطلب الأول: العتاب في شأن الجهاد وقسوة القلوب

عاتب الله المؤمنين وكان ذلك في غزوة بدر في قوله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧﴾ [الأنفال:67].

جاء في سبب نزول هذه الآيات كما ذكر ذلك الواحدي أن "ابن عباس قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم "بدر" والتقوا فهزم الله المشركين وقتل منهم سبعون رجلا وأسر منهم سبعون رجلا استشار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أبا بكر وعمر وعليا، فقال أبو بكر: يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار، وعسى الله أن يهديهم للإسلام فيكونوا لنا عضدا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما ترى يا ابن الخطاب"، قال: قلت والله ما أرى ما رأى أبو بكر ولكن أن تمكنني من فلان – قريب لعمر – فأضرب عنقه، وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله عز وجل أنه ليس في قلوبنا هوادة للمشركين، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم، فهوي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت، فأخذ منهم الفداء؛ فلما كان من الغد قال عمر: غدوت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإذا هو قاعد وأبو بكر الصديق وإذا هما يبكيان فقلت: يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما، فقال النبي صلى الله

عليه وسلم – " أبكي للذي عرض علي أصحابك من الفداء، لقد عرض علي عذابكم أدنى من الشجرة " لشجرة قريبة وأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ إلى قوله: ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٦٨﴾.))[1]

فهذا الخطاب موجه للمسلمين الذين أشاروا بالفداء، وليس موجها للنبيء – صلى الله عليه وسلم– لأنه ما فعل إلا ما أمره الله به من مشاورة أصحابه، ومعناه: تريدون بأسركم عرض الدنيا وهو المال الذي تأخذونه من الأسرى فداء لهم واللَّه سبحانه وتعالى يريد لكم ثواب الآخرة فجاء الكلام معاتبا لهم على اختيارهم الفداء والميل إليه حين استشارهم الرسول عليه الصلاة والسلام وهذا العتاب إنما هو عتاب على النوايا التي في نفوس جمهور الجيش، حين تخيروا الفداء أي أنهم ما راعوا فيه إلا محبة المال لنفع أنفسهم فعاتبهم الله على ذلك لينبههم على أن حقيقا عليهم أن لا ينسوا في سائر أحوالهم وآرائهم، الالتفات إلى نفع الدين وما يعود عليه بالقوة، وكان اللائق بهم أن يرأبوا بنفوسهم عن التعلق بسفاسف الأمور وأن يجنحوا إلى معاليها.[2]

وأما نوع العتاب في هذه الآية فهو عتاب تحذير فالله سبحانه حذر المؤمنين مما وقعوا فيه من الخطأ في اجتهادهم في شأن الأسرى وحبهم لمتاع الدنيا الزائل. –والله أعلم–

أما الموضع الثاني الذي عاتب الله فيه المؤمنين في أمر الجهاد وكان ذلك عند تثاقلهم عنه، فجاء في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨ ﴾ [التوبة: 38].

بدأت هذه الآية بنداء المؤمنين لتحريضهم على الجهاد بأسلوب العتاب، قال ابن عطية: ((هذه الآية هي بلا اختلاف نازلة عتابا على تخلف من تخلف عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– في غزوة تبوك، وكانت سنة تسع من الهجرة بعد الفتح بعام غزا فيها الروم في عشرين ألفا بين راكب وراجل، وتخلف عنه قبائل من الناس ورجال من المؤمنين كثير ومنافقون، فالعتاب في هذه الآية هو للقبائل وللمؤمنين الذين كانوا بالمدينة، وخص الثلاثة كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن

---

[1] أسباب النزول الواحدي، ص244.

[2] ينظر: التحرير والتنوير، ج10، ص74، وتفسير حدائق الروح والريحان، ج11، ص91.

أمية بذلك التذنيب الشديد بحسب مكانهم من الصحبة إذ هم من أهل بدر وممن يقتدى بهم وكان تخلفهم لغير علة. »[1]

وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قد استنفر المسلمين إلى تلك الغزوة، وكان ذلك في وقت حر شديد، واستقبل سفرا بعيدا ومفازا، حين نضجت الثمار، وطابت الظلال، وكان المسلمون يومئذ في شدة حاجة إلى الظهر والعدة، فجلى رسول الله للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم، وأخبرهم بوجهه الذي يريد، وكان قبل ذلك لا يريد غزوة إلا ورى بما يوهم مكانا غير المكان المقصود، فحصل لبعض المسلمين تثاقل، ومن بعضهم تخلف، فوجه الله إليهم هذا الملام المعقب بالوعيد.[2]

فقوله سبحانه: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ معناه: أرضيتم بلذات الحياة الدنيا بدلا من الآخرة وسعادتها ونعيمها؟ إن كنتم فعلتم ذلك فقد تركتم الخير الكثير في سبيل الشيء الحقير، فما تتمتعون به في الدنيا متاعا مقترنا بالهم والألم، إذا قيس بنعيم الآخرة الدائم المقيم، إلا شيء حقير، لا يصلح عوضا عن الشيء الكثير. [3]

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فيما رواه مسلم " و الله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يضع أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع".[4]

وأخرج الحاكم في مستدركه وصححه عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: مر رسول الله – صلى الله عليه وسلم– بذي الحليفة فرأى شاة شائلة برجلها فقال: " أترون هذه الشاة هينة على صاحبها ؟ قالوا : نعم قال : و الذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه على صاحبها و لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء."[5]

فهذه استدلالات على رداءة الدنيا وحقارتها عند الله سبحانه وعند رسوله – صلى الله عليه وسلم–، ولهذا عاتبهم الله على التثاقل وترك الآخرة لأجل هذه الدنيا الفانية.

---

[1] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج3، 34.

[2] التحرير والتنوير، ج10، ص196.

[3] ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج لوهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر دمشق، ط2، 1418هـ، ج10 ص216.

[4] صحيح مسلم، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، رقم الحديث2858، ج4، ص2198.

[5] المستدرك على الصحيحين للحاكم، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1414هـ-1990م كتاب الرِّقاق، ج4، ص341.

أما نوع هذا العتاب في هذه الآية فهو عتاب تحذير؛ لأن الله سبحانه حذر المتثاقلين عن العودة إلى هذا الفعل والتثاقل مرة أخرى. –والله أعلم–.

جاء عتاب الله المؤمنين بعد أن بدأت الهمم تضعف والاجتهاد في العبادات والطاعات يقل والقلوب بدأت تقسوا، فحذرهم سبحانه من ذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: 16].

جاء في صحيح مسلم عن ابن مسعود، قال: " ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ الحديد: 16] إلا أربع سنين. "[1]

يخاطب الله عز وجل في هذه الآية أحبابه من أهل الإيمان فبدأ ذلك الآية برنة عتاب منه سبحانه إلى أولئك للمؤمنين الذين لم يصلوا إلى تلك المرتبة التي يريدها الله لهم وتلويح لهم بما كان من أهل الكتاب قبلهم من قسوة في القلوب وفسق في الأعمال.[2]

فهذه الآية لا يقرأها مقصر إلا ويراجع حساباته، ولا يسمعها غافل إلا ويستيقظ من غفلته ولا يتدبرها مذنب إلا ويترك ذنبه ويقر بمعصيته.

وقد ذكر الشنقيطي في معنى هذه الآية بأنها على وجهين: الوجه الأول ((﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ﴾ أي: آن للذين آمنوا.

والوجه الثاني: أن الاستفهام في جميع ذلك للتقرير، وهو حمل المخاطب على أن يقر فيقول بلى.))[3] والمعنى على كلا القولين أنه: حان للمؤمنين الوقت الذي تلين به قلوبهم وتخشع لذكر الله الذي هو القرآن، وتنقاد لأوامره وزواجره، وما نزل من الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم؟ وهذا فيه الحث على الاجتهاد على خشوع القلب لله تعالى، والخشية منه سبحانه، ولما أنزله من الكتاب والحكمة، وأن يتذكر المؤمنون المواعظ الإلهية والأحكام الشرعية، وأن يذكروه الله في كل وقت، ويحاسبوا أنفسهم على ذلك.[4]

---

[1] صحيح مسلم، باب قوله تعالى: ألم يان للذين ءامنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله، قم الحديث3027، ج4، ص2319.

[2] ينظر: في ظلال القرآن، ج6، ص3487.

[3] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، 1415هـ-1995م، ج7 ص547.

[4] ينظر: أضواء البيان، ج7، ص547، وتفسير السعدي، ص840.

إنه عتاب مؤثر من المولى الكريم الرحيم واستبطاء للاستجابة الكاملة من تلك القلوب التي أفاض عليها من فضله فبعث فيها الرسول يدعوها إلى الإيمان بربها، ونزل عليه الآيات البينات ليخرجها من الظلمات إلى النور وأراها من آياته في الكون والخلق ما يبصر ويحذر.

عتاب فيه الود، وفيه الحض، وفيه الاستجاشة إلى الشعور بجلال الله، والخشوع لذكره، وتلقي ما نزل من الحق بما يليق بجلال الحق من الروعة والخشية والطاعة والاستسلام، مع رائحة التنديد والاستبطاء في السؤال: ﴿۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾، وإلى جانب التحضيض والاستبطاء تحذير من عاقبة التباطؤ والتقاعس عن الاستجابة، وبيان لما يغشى القلوب من الصدأ حين يمتد بها الزمن بدون جلاء، وما تنتهي إليه من القسوة بعد اللين حين تغفل عن ذكر الله، وحين لا تخشع لقراءة كتابه.[1]

بعد هذا التحريض للمؤمنين على المسارعة في طاعة الله تعالى وخشيته والإكثار من ذكره والتحذير من الغفلة عن ذكره :نهاهم سبحانه عن التشبه بأهل الكتاب ، الذين طال عليهم الأمد في الانغماس في شهوات الدنيا فقست قلوبهم وصارت لا تتأثر لا بالترغيب ولا بالترهيب فقال تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦﴾ .[2]

أي: ولا يكونوا كالذين أنزل الله عليهم الكتاب الموجب لخشوع القلب والانقياد التام، ثم لم يدوموا عليه، ولا ثبتوا، بل طال عليهم الزمان واستمرت بهم الغفلة، فقست قلوبهم، واضمحل إيمانهم وزال إيقانهم.[3]

ونوع العتاب في هذه الآية على شطرين: ففي الشطر الأول عتاب تحذير، فقد حذرهم سبحانه من قسوة القلوب وعدم الخشية، وذلك في قوله تعالى: ﴿۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ .

---

(1) ينظر: في ظلال القرآن، ج6، ص3488.

(2) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي، ج14، ص214.

(3) ينظر: تفسير السعدي، ص840.

أما الشطر الثاني فهو عتاب تنبيه، فقد نبه الله سبحانه المؤمنين من أن يصيبهم مثل ما أصاب الذين أوتوا الكتاب من قبل، قال تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾.

المطلب الثاني: العتاب في حادثة الإفك

عاتب الله المؤمنين الذين خاضوا في حادثة الإفك فهلك فيها من هلك وخاض فيها من خاض وجاء هذ العتاب في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ [النور: 16-17].

نزلت هذه الآيات والتي قبلها وبعدها وهي ما تسمى بآيات الافك في براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قال ابن كثير في سبب نزول هذه الآيات ((هذه العشر الآيات كلها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين، رضي الله عنها، حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والفرية التي غار الله تعالى لها ولنبيه، صلوات الله وسلامه عليه، فأنزل الله عز وجل براءتها صيانة لعرض الرسول – عليه أفضل الصلاة والسلام– فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ أي: جماعة منكم، يعني: ما هو واحد ولا اثنان بل جماعة، فكان المقدّم في هذه اللعنة عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين، فإنه كان يجمعه ويستوشيه ويتكلم به، حتى دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين، فتكلموا به، وجوزه آخرون منهم، وبقي الأمر كذلك قريبا من شهر، حتى نزل القرآن.))[1]

جاء عند الطبري في تفسيره لهذه الآية قوله ((وهذا عتاب من الله تعالى ذكره أهل الإيمان به فيما وقع في أنفسهم من إرجاف من أرجف في أمر عائشة بما أرجف به.))[2]

وقد جاء في هذه الآيات كلمات فيها شدة وقسوة مثل (بهتان عظيم) (يعظكم الله) (أن تعودوا لمثله أبدا) لأن الذنب الذي ارتكبوه عظيم الأثر، إذ المرمى به أم من أمهات المؤمنين. وزوج النبي الكريم، فهذا اجتراء على الله وعلى رسوله، وعلى المحصنات المؤمنات الغافلات، لذلك كله جاءت مظاهر العنف في هذا العتاب بالغة القوة ووجهت إليهم، الجناية من طرق عديد. [3]

---

[1] تفسير ابن كثير، ج6، 19.

[2] جامع البيان، ج19، ص128.

[3] ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية لعبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، ط1، 1414هـ-1992م،ج1،ص277.

وفي هذه الآيات يعاتب سبحانه الذين خاضوا في حادثة الإفك ويبين لهم بشاعة هذا الفعل أي: كان ينبغي عليكم أن تنكروه ولا يتعاطاه بعضكم من بعض على جهة الحكاية والنقل، وأن تنزهوا الله تعالى عن أن يقع هذا من زوج نبيه عليه الصلاة والسلام، وأن تحكموا على هذه المقالة بأنها بهتان وأن تمتنعوا عن الخوض فيها، وذلك لعدة أسباب، أحدها: أن المقتضى لكونهم تاركين لهذا الفعل قائم وهو العقل والدين، ولم يوجد ما يعارضه فوجب أن يكون ظن كونهم تاركين للمعصية أقوى من ظن كونهم فاعلين لها، فلو أنه أخبر عن صدور المعصية لكان قد رجح المرجوح على الراجح وهو غير جائز، وثانيها: وهو أنه يتضمن إيذاء الرسول وذلك سبب للعن لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الأحزاب: 57]، وثالثها: أنه سبب لإيذاء عائشة وإيذاء أبويها ومن يتصل بهم من غير سبب عرف إقدامهم عليه، ولا جناية عرف صدورها عنهم، وذلك حرام، ورابعها: أنه إقدام على ما يجوز أن يكون سببا للضرر مع الاستغناء عنه، والعقل يقتضي التباعد عنه لأن القاذف بتقدير كونه صادقا لا يستحق الثواب على صدقه بل يستحق العقاب لأنه أشاع الفاحشة، وبتقدير كونه كاذبا فإنه فيه يستحق العقاب العظيم.[1]

وأما نوع العتاب في هذه الآية فهو من نوع عتاب التحذير؛ لأن الله سبحانه وتعالى حذرهم من أن يعودوا لمثل هذا الفعل العظيم وذلك في الآية التي بعدها في قوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ [النور: 17].

[1] ينظر: تفسير القرطبي، ج12، ص205. ومفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، دار احياء التراث العربي، ط3، 1420هـ ج23، ص343.

المطلب الثالث: عتاب الكافرين

جاء عتاب الكافرين في آية واحدة وذلك في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [النساء:54].

قال الامام الطبري عند تفسيره لهذه الآية "إنّ الله عاتب اليهود الذين وصف صفتهم في هذه الآيات، فقال لهم في قيلهم للمشركين من عبدة الأوثان إنهم أهدى من محمد وأصحابه." [1]

بدأت هذه الآية بالاستفهام والمراد منه انكارهم على حسدهم للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، والاستنكار هذا على موقفهم من الرسول- صلى الله عليه وسلم- والمسلمين وغيظهم من أن يمن الله عليهم هذه المنة، منة الدين والنصر والتمكين.[2]

فوبخهم الله سبحانه على حسدهم هذا، ومعنى الآية: بل أتريد اليهود أن يحسدوا الناس؛ أي: محمدًا صلى الله عليه وسلم وأصحابه على ما آتاهم الله تعالى؛ أي: على العطاء الذي أعطاهم إياه من النبوة والكتاب، وازدياد العز والنصر يومًا فيومًا، وكثرة النساء له صلى الله عليه وسلم، وكانت له يومئذ تسع نسوة، فقالت اليهود: لو كان محمد نبيًّا، لشغله أمر النبوة ن الاهتمام بأمر النساء حالة كون ذلك العطاء وإحسانه سبحانه وتعالى، وقوله: {فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ} تعليل للإنكار المفهوم من الاستفهام المضمن للهمزة المقدرة؛ أي لا ينبغي لهم الحسد لمحمد وأصحابه، فإن حسدهم المذكور في غاية القبح والبطلان؛ لأنا قد آتينا وأعطينا من قبل محمَّد صلى الله عليه وسلم آل إبراهيم، الذين هم أنبياء أسلافهم، وأبناء أعمام لمحمد - صلى الله عليه وسلم، {الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}؛ أي: أعطينا بعض آل إبراهيم الكتاب والنبوة، كموسى وعيسى وداود عليهم السلام وأعطينا بعضهم الآخر {مُلْكًا عَظِيمًا} لا يقادر قدره مع النبوة، كداود وسليمان ويوسف عليهم السلام، فكان لداود مئة امرأة مهرية، ولسليمان سبع مئة سرية، وثلاث مئة امرأة مهرية، وهؤلاء الثلاثة كانوا في بني إسرائيل، ولم يشغلهم أمر النبوة عن أمر الملك والنساء، فهم يعلمون بما آتيناهم فلم يحسدوهم، وليس ما آتينا محمدًا وأصحابه ببدع حتى يحسدوهم على ذلك، فلأي شيء يخصصون محمدًا - صلى الله عليه وسلم بالحسد، دون غيره ممن أنعم الله عليهم من آل إبراهيم؟.[3]

---

[1] جامع البيان، ج8، ص477.

[2] ينظر: التحرير والتنوير، ج2، ص88. و في ظلال القرآن، ج2، ص682.

[3] ينظر: حدائق الروح والريحان، ج6، ص136-137.

ونوع العتاب في هذه الآية هو عتاب تحذير، فقد حذر سبحانه اليهود الذين حسدوه على تفضل الله عليه بشرف النبوة، فذكرهم بأنه قت تفضل على الأنبياء قبله، ثم ذكر أن هناك من يؤمن به وهناك من لا يؤمن به وهم الحاسدون له فتوعد هذا الأخير بقوله: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾.

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعفوه تغفر الزلات، وبالتوكل عليه تُيسّر الأمور وتسهل الصعوبات، والصلاة والسلام على من عرج به إلى السماوات.

بعد هذه الجولة في رحاب القرآن، وبعد أن خضت في بعضٍ من آيات كتاب المنان، ومن هذه الآيات آيات في السيد العدنان، وأخرى جاءت في الرسل الأطهار، وآيات عاتبت المؤمنين، وآيات أخرى عاتبت الكفار، توصلت إلى ذكر بعض النتائج:

من أهمها:

- أنواع العتاب ثلاثة: عتاب توجيه وعتاب تحذير وعتاب تنبيه، ولكل نوع من هذه الأنواع غرض خاص به، والنوع الغالب في القرآن هو عتاب التوجيه لأنه جاء للأنبياء والمرسلين بحيث يوجههم إلى الأولى والأصح.
- أن النبي – صلى الله عليه وسلم– عوتب بالأنواع الثلاثة للعتاب.
- أن العتاب لم يأت لجل الأنبياء المرسلين بل عوتب بعض الأنبياء فقط.
- أول من عوتب هو النبي آدم عليه السلام بسبب أكله من الشجرة المنهي عنها.
- لم يأت العتاب للمؤمنين إلا في الأمور العظيمة كالجهاد والمساس ببيت المصطفى –صلى الله عليه وسلم–.
- أن العتاب للكافرين لم يأت إلا في موضع واحد وربما يرجع ذلك إلى أنهم لم يؤمنوا به ولم يؤمنوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

وفي الأخير نسأل الله القبول، وأن أكون قد وفقت إلى ما حاولت فيه، وإن عملي هذا لا يخلو من الأخطاء والزلات والهفوات، فإن أصبت فمن الله وحده وإن أخطأت فمني ومن والشيطان والصلاة والسلام على النبي العدنان، وعلى أصحابه والتابعين لهم بإحسان، وأدعو الله أن يجمعنا بهم في الجنان.

فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾	البقرة	35-37	35
﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾	البقرة	124	27
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾	البقرة	260	27
﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾	النساء	54	52
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾	النساء	105	11-19
﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾	المائدة	116	32
﴿الْمَصَ ۝١ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾	الأعراف	1- 2	12
﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾	الأعراف	22	35
﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾	الأعراف	23	36
﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾	الأعراف	143	29
﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	الأنفال	67	45
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ﴾	التوبة	38	46
﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾	التوبة	43	11-16
﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾	التوبة	80	16-18
﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾	التوبة	84	17
﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾	التوبة	113	17-26
﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا﴾	يونس	98	42
﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾	هود	12	11
﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾	هود	45-46	25
﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ﴾	هود	74-76	28
﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾	يوسف	42	37

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾	الحجر	88-87	13
﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ﴾	الإسراء	90	14
﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾	الكهف	06	13
﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ﴾	الكهف	24-23	41-17
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾	الكهف	60	30
﴿إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾	طه	40	30
﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾	طه	115	36
﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾	طه	121	36
﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾	طه	122	37
﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾	الأنبياء	88-87	42
﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾	النور	17-16	50
﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾	النور	62	17
﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾	الشعراء	03	14
﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾	القصص	07	31
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾	الأحزاب	57	51
﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ﴾	سبأ	13	41
﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾	فاطر	08	15
﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾	الصافات	142	43
﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾	الصافات	144-143	43
﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾	ص	24-21	38
﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾	ص	35-34	40
﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾	ص	40-35	41
﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾	الحديد	16	48

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾	الحديد	27	32
﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾	الممتحنة	04	28
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾	التحريم	01	21
﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾	القلم	50-48	43
﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾	عبس	10 -1	22

فهرس الأحاديث والآثار

طرف الحديث والأثر	الصفحة
أن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل	30
رحم الله يوسف لولا الكلمة التي قالها	37
عوقب يوسف بطول الحبس	38
عجبت لصب أخي يوسف	38
لولا كلمة يوسف	38
إن سليمان عليه السلام احتجب عن الناس	40
قال سليمان بن داود: لأطوفن الليلة	40
لما كان يوم "بدر" والتقوا فهزم الله المشركين	45
و الله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يضع أحدكم أصبعه	47
أترون هذه الشاة هينة على صاحبها ؟	47
ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله	48

فهرس المصادر والمراجع

* القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

أولا: الكتب

1. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
2. أسباب النزول، أبو الحسن الواحدي، ت: زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1411هـ.
3. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1415هـ-1995م..
4. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة المملكة العربية السعودية، ط5، 1424هـ-2003م.
5. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ت: صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت 1420هـ.
6. تاج العروس، مرتضى الزبيدي، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
7. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.
8. التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، ت: د عبد الله الخالدي، ط1، دار الأرقم بن أبس الأرقم، 1416هـ.
9. تفسير ابن كثير، اسماعيل بن عمر ابن كثير، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ-1999م.
10. تفسير الشعراوي ، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم.
11. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365هـ -1946م.
12. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2 1418هـ.
13. التفسير الوسيط، سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة القاهرة، ط1، 1998.

14. التفسير الوسيط، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ط1 الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية 1414هـ.
15. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ابن عبد الله الأرمي العلوي الهرري، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ.
16. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م.
17. جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، لالقاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري، ت: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ، 2000م.
18. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرة، القاهرة، 1384هـ-1964م.
19. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، ط1 1414هـ-1992م.
20. ديوان الحماسة، أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 1418هـ-1998م.
21. روح البيان للمولى أبو الفداء، دار الفكر، بيروت.
22. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي، ت: علي عبد الباري عطية دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.
23. سلسلة التفسير، مصطفى العدوي، الدرس 66.
24. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ابن حبان، ت: شعيب الأرنؤوط، ، مؤسسة الرسالة بيروت، ط2، 1414هـ، 1993م.
25. صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري، ت محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
26. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت.
27. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1 1417هـ.

28. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط1.
29. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ت: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، مصر.
30. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط17، 1412هـ.
31. قواعد الفقه، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، كراتشي، الصدف ببشلرز، 1407هـ 1986م.
32. لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ت: تصحيح محمد علي شاهين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.
33. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط1.
34. لطائف الاشارات – تفسير القشيري – عبد الكريم القشيري، ت: ابراهيم البسيوني، ط3 مصر الهيئة المصرية العامة للكتاب.
35. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.
36. المستدرك على الصحيحين، الحاكم، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1414هـ-1990م.
37. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.
38. معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ت: عبد الرزاق المهدي، دار احياء التراث العربي بيروت، ط1، 1420هـ.
39. معاني القرآن وإعرابه، أبو اسحاق الزجاج، ت: عبد الجليل شلبي، ط1، عالم الكتب بيروت، 1408هـ- 1988م.
40. المعجم الكبير، الطبراني، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ط2.
41. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت 1399هـ - 1979م.

42. نظرة في آيات العتاب، أمين محمد سلام المناسية، مجلة جامعة دمشق للعلوم الإقتصادية والقانونية، المج23، العدد 2007.
43. الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي ابن أبي طالب، ت: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ط1 1429هـ - 2008م.
44. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي النيسابوري، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود الشيخ علي محمد معوض، د أحمد محمد صيرة، د أحمد عبد الغني الجمل، د عبد الرحمن عويس، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1415هـ-1994م.

ثانيا: الرسائل

45. آيات عتاب المصطفى صلى الله عليه وسلم في ضوء العصمة والاجتهاد، عويد بن عيّاد بن عايد المطرفي ، مكة المكرمة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز ط3، 1426هـ.
45. عتاب الله عز وجل للأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم، بيئوغين أكبر الأندونيسي 1436هـ-2015م.

فهرس الموضوعات

الإهداء
شكر وتقدير
ملخص البحث
مقدمة .....أ-هـ
مبحث تمهيدي: تعريف العتاب وأنواعه وأغراضه 07
المطلب الأول: تعريف العتاب لغة واصطلاحا 07
المطلب الثاني: أنواع العتاب 08
المطلب الثالث: أغراض العتاب 09
المبحث الأول: عتاب النبي صلى الله عليه وسلم 11
المطلب الأول: عتاب التوجيه 12
المطلب الثاني: عتاب التنبيه 16
المطلب الثالث: عتاب التحذير 19
المبحث الثاني: الآيات الواردة في عتاب أولي العزم من الرسل عليهم السلام 25
المطلب الأول: الآيات الواردة في عتاب نوح عليه السلام 25
المطلب الثاني: الآيات الواردة في عتاب إبراهيم عليه السلام 27
المطلب الثالث: الآيات الواردة في عتاب موسى عليه السلام 29
المطلب الرابع: الآيات الواردة في عتاب عيسى عليه السلام 32
المبحث الثالث: الآيات الواردة في عتاب الأنبياء من غير أولي العزم من الرسل 35
المطلب الأول: الآيات الواردة في عتاب آدم عليه السلام 35
المطلب الثاني: الآيات الواردة في عتاب يوسف عليه السلام 37
المطلب الثالث: الآيات الواردة في عتاب داود عليه السلام 38
المطلب الرابع: الآيات الواردة في عتاب سليمان عليه السلام 40
المطلب الخامس: الآيات الواردة في عتاب يونس عليه السلام.....42
المبحث الخامس: عتاب المؤمنين والكافرين 45

المطلب الأول: العتاب في شأن الجهاد وقسوة القلوب.....45
المطلب الثاني: العتاب في حادثة الإفك.....50
المطلب الثالث: عتاب الكافرين.....52
خاتمة.....54
فهرس الآيات.....55
فهرس الأحاديث والآثار.....58
فهرس المصادر والمراجع.....59
فهرس الموضوعات.....63